٣

الأدلة والمعلومات

دليلك إلى العربية

دليل
ثقافة اللغة العربية للناطقين بغير العربية

أ.د. محمود إسماعيل عمار

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language

الأدلة والمعلومات

٣

دليلك إلى العربية

دليل ثقافة اللغة العربية

للناطقين بغير العربية

أ.د. محمود إسماعيل عمار

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language

دليل ثقافة اللغة العربية للناطقين بغير العربية

أ.د. محمود إسماعيل عمار

الطبعة الأولى
1436 هـ - 2015م

ح/ مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٦هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحديبي، علي عبد المحسن الحديبي
دليلك إلى العربية. / علي عبد المحسن الحديبي؛ محمود إسماعيل عمار؛ محمود علي شرابي - الرياض، ١٤٣٦هـ
.. ص؛ .. سم
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٦٢٦-٢-٢
١-اللغة العربية - تعليم (لغير الناطقين بها) ٢- الأدلة أ.عمار، محمود اسماعيل (مؤلف مشارك) ب.شرابي، محمود علي (مؤلف مشارك) ج. العنوان
ديوي ٤١٨،٢٤ ١٤٣٦/٢٤٠٣
رقم الإيداع: ١٤٣٦/٢٤٠٣
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٦٢٦-٢-٢

التصميم والإخراج
دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojooh Publishing & Distribution House
www.wojoooh.com

المملكة العربية السعودية - الرياض
الهاتف: 4562410 الفاكس: 4561675
للتواصل والنشر:
info@wojoooh.com

دليل ثقافة اللغة العربية
للناطقين بغير العربية

مؤلفو السلسلة

أ.د. محمود إسماعيل عمار

د.علي عبدالمحسن الحديبي

د.محمود علي شرابي

المراجعون

أ.د. محمود بن إسماعيل صالح

د.سالم بن وصيل السميري

د.عادل أحمد باناعمة

مدير المشروع

د.هداية هداية إبراهيم الشيخ علي

إشراف

د.عبدالله بن صالح الوشمي



كلمة المركز

يؤمن مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية بأن المهمة السامية المنوطة به في النهوض باللغة العربية تتأسس على تمكين العربية والمحافظة عليها في صورتها الخالية من الهجنة والرَّطانة، مع مواكبة الواقع اللغوي في العصر الحديث، الذي شهد تحولات حضارية كبيرة، استدعت تقارباً بين شعوب العالم ثقافياً وفكرياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً...، ومن ثَمَّ إعادة النظر في منظومة التواصل اللغوي بين هذه الشعوب، التي أخذت تشيع بين لغاتها روح المنافسة؛ بزيادة عدد متحدثيها من أهلها ومن غيرهم، وهو ما يُعَدُّ أهم مكسب لأيِّ لغة.

وحرصاً من المركز على تحقيق مبدأ عالمية اللغة العربية (على مستويي مهامه وتوسيع خارطة متحدثي العربية)، وتنفيذاً لتوجيهات معالي وزير التعليم العالي (المشرف العام على المركز) ومتابعته الشخصية لمناشط المركز وأعماله الدقيقة والجليلة، فقد أولى المركز مسار تعليم اللغة العربية للناطقين

بغيرها عنايته الخاصة، إذ حرص على أن يكون لهذا المسار حضور رئيس في مناشطه المختلفة، وبخاصة برنامجه المتميز (شهر اللغة العربية في البلدان الناطقة بغيرها)، الذي قُوبِل بحفاوة كبيرة، وكان من أبرز فعالياته إقامة عدد من دورات إعداد معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتكريم العلماء غير العرب الذين خدموا العربية.

وفي هذا السياق يقدم المركز سلسلته الجديدة، المكونة من ثلاثة إصدارات تعالج موضوعاً واحداً، وهو تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ولكن تختلف في زاوية النظر إليه، وهذه الإصدارات تحمل العنوانات الآتية: (دليل معلم العربية للناطقين بغيرها)، و(دَلِيلُ مُتعلِّمي العَرَبِيّة الناطقين بغيرها) و(دليل ثقافة اللغة العربية للناطقين بغير العربية)، وقد عمل على تهيئة وإنجاز ومراجعة هذه السلسلة فريق متخصص في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها تحت إشراف المركز.

والكتاب الذي نحن بصدده هاهنا (دليل ثقافة اللغة العربية للناطقين بغير العربية) يتوجه في المقام الأول إلى الناطقين بغير اللغة العربية كافة، مرشداً ومثقِّفاً لهم، وذلك بمناقشته عدة محاور، أهمها: العربية تاريخاً وانتشاراً، والعربية جمالاً وجلالاً، والعربية كتابة وفناً.

وختاماً لا يفوت الأمانة العامة للمركز أن تتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى معالي وزير التعليم (المشرف العام على المركز) على عنايته الكبيرة ودعمه المتواصل للمركز ومناشطه، ولمجلس الأمناء على مؤازرتهم ودعمهم، والشكر موصول لفريق العمل الذي عمل بتفانٍ وإخلاص في إنجاز هذه السلسلة.

والله ولي التوفيق.

1

تمهيد

اللغة ظاهرة إنسانية:

اللغة صفة مكتسبة ترد إلى الإنسان من محيطه الاجتماعي، يولد مزوداً بأجهزة النطق التي تجعله قادراً على اكتسابها، ونمو الملكة العقلية يجعلها تنمو وتكبر، ويتحكم المتكلم بالصوت عن طريق الجهاز التنفسي الذي يوفر الهواء بطاقة معينة تسمح بإحداث الأصوات[1]، ولكن اللغة في الوقت نفسه من أكثر الصفات المكتسبة شبهاً بالصفات الغريزية؛ لأصالتها، وحاجة الإنسان الملحّة إليها، وتوريث خبرته للأجيال المقبلة؛ لتظل الحضارة في اطراد ونمو، وأول لغة يتعلمها الإنسان تسمى (اللغة الأم) أو (اللغة الوطنية)، وهي تمثل وطناً روحياً له حيثما حل، وله قدرة على أن يتعلم غيرها، وأن يعدد اللغات.

(١) عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد ين سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص (١٨٤).

وهذه الخاصية الصوتية المنوَّعة في الإنسان ميزة له من سواه، وسمة فريدة للجنس البشري من غيره، تلائم مكانته في سُلَّم المخلوقات، وهي مناط الحرية والفكر والإبداع والمسؤولية والتكليف، وهي ـ كذلك ـ رأس مال يعين الفرد على التعايش والتكيّف وتلبية مطالبه، ولا نعرف قيمة هذه الثروة المعنوية إلا حين نفتقدها لسبب من الأسباب، أو نحلُّ في بلد لا نعرف لغة أهله.

اللغات في العالم وأنواعها:

تشير الدراسات الحديثة إلى أنه كان في بداية القرن العشرين أكثر من (١٥) ألف لغة[١]، تنتشر بين شعوب الكرة الأرضية، على اختلافها في المكانة والانتشار، حتى إن بعضها مقصور على وظيفة التخاطب، ولم يتوصل أهله إلى كتابته. وتشير دراسات أخرى إلى أنه في منتصف القرن كانت اللغات بين (٣٠٠٠ـ٤٠٠٠) لغة[٢]، وقد تقلصت بالتدريج، وتُقَدَّر اليوم بأكثر من (٥٠٠) لغة، يتهدد بعضها خطر الانقراض.

وتنقسم اللغات البشرية إلى عوائل أو مجموعات أشهرها[٣]:

- اللغات السامية، وأهمها: العربية، والأمهرية، والعبرية.
- اللغات الهندوأوروبية: كاللاتينية (وما تفرع منها من اللغات الأوروبية الحديثة)، والجرمانية، والإغريقية، والألبانية.

---

(١) أحمد الضبيب، اللغة العربية في عصر العولمة، مكتبة العبيكان الرياض ١٤٢٢ هـ، ص(٦٥) والمصدر الذي أشار إليه.

(٢) لغات العالم (تقرير)، مجلة الفيصل، ع (٨٩) ذو القعدة ١٤٠٤هـ، ص(٤٩) .

(٣) السابق ومحمد شفيق غربال وفريق العمل، الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان ١٤٠٦هـ، جدول اللغات ص (١٥٥٨) .

- اللغات الأورالمو- التائية، ومنها: الصينية، واليابانية، والتركية، والملاوية.
- لغات أخرى، مثل: لغة البوشمن، ولغة الهنود الحمر.

ومرد هذا التقسيم تشابه لغات المجموعة الواحدة في أصواتها أو في قواعدها أو بناء مفرداتها، ولكنه تشابه يحمل من مظاهر التخالف أكثر مما يحمل من مظاهر التقارب؛ ولهذا استقلَّت كل لغة عن الأخرى بشخصيتها وخصائصها المتميزة.

٢

العربية تاريخاً وانتشاراً

قِدَم اللغة العربية:

تنتمي اللغة العربية إلى عائلة اللغات السَّاميَّة، نسبةً إلى سام بن نوح عليه السلام. وهي أكثر لغات هذه المجموعة استخداماً، ومن أقدم اللغات المستعملة اليوم.

وما تضم اللغة العربية من دقة البناء، وتنويع في الاستعمال، وتوسَّع في الأحكام، وتفريق بين الدقائق؛ يدل على أنها شهدت مراحل متعددة من التَّحوُّل والارتقاء، وأن هذا النُّضج الذي تتمتع به تم في عصور متوالية، وأجيال متعاقبة، لا تقتصر على بضعة قرون قبل أن نعرف مسيرتها التاريخية، وأنها موغلة في القدم قبل ظهور الدعوة الإسلامية.

ورغم هذا القِدَم ما تزال حيَّةً فعَّالةً في الوقت الذي اندثر فيه كثير من اللغات القديمة؛ لأنها تحمل خصائص ذاتية للبقاء والتفاعل والنمو. ولكن ما وصل إلينا من آثارها لا يرجع إلى أكثر من مائة وخمسين، أو مائتي

عام قبل الإسلام؛ لغلبة الأميَّة على العرب في تلك الحِقَب، واعتمادهم على الرِّواية والمشافهة في نقل آثارهم. وقد حملت لنا هذه الحقبة نصوصاً تحتلُّ مكانة كبيرة في الذاكرة العربية، وتعكس أنماطاً حضاريةً من حياة العرب وتفكيرهم، في مقدمتها المعلَّقات والقصائد في الدواوين والمجاميع الشعرية (كالمفضليات، والأصمعيات، وجمهرة أشعار العرب... وغيرها)، ومأثورات من الخطب والحكم والأمثال.

نفوذ العربية وانتشارها:

في أواخر العصر الجاهلي امتدت بعض القبائل العربية إلى الأقطار المجاورة لها (كالعراق وبلاد الشام...) حاملةً معها لغتها العربية، التي أخذت تشيع في تلك البلاد، حوالي القرن الخامس الميلادي. ومع انتشار الإسلام (منذ بداية القرن السابع) سارت اللغة العربية في ركابه، وطرقت أبواب البلاد التي دخلها، وحلَّت محلَّ مراكز الثقافة اليونانية في الشرق، وانتشرت في أنحاء واسعة من آسيا وأفريقيا، وتغلَّبت على اللغات المحلية فيها، وتحولَّت ألسنة كثير من هذه الشعوب ـ بطواعية وانتشاء ـ إلى العربية، وتبنَّتها شعوب عريقة كالمصريين والهنود، بما لهم من ثقافة وإرث حضاري، وكانت سرعة التحوّل إلى العربية مرتبطة بمقدار القرب والبعد من المركز، وبقدر كثافة الهجرة والاختلاط[1]. ويمكن القول: إن اللغة العربية أصبحت اللغة الرسمية في كل الأصقاع التي امتد إليها الحكم الإسلامي العربي، وكان في مقدور المرء أن ينتقل إلى أية بقعة في هذه

(١) انظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م، ص (٨٩).

الأرجاء الشاسعة؛ فيجد من يحادثه بالعربية، ويستمتع بما ينشده الشعراء فيها من روائع الشعر والإيقاع.

ونشأت أجيال من تلك الشعوب على اللسان العربي والعناية بها؛ فأحبت العربية، واتخذتها لغة حديث وعلم وثقافة، ونبغ من أبنائهم من اشتغل بالعربية علماً وفناً، وظهر منهم علماء وأدباء عكفوا على خدمة العربية والتأليف فيها، وكشف أسرارها (تحليلاً، وتعليقاً، وجمعاً، ودراسة)؛ فأثرَوا هذه اللغة، وأبرزوا عبقريتها ومزاياها، حتى أصبح أكثر مصادرها من صنع أيديهم، وإنتاج عقولهم.

وقائمة العلماء والأدباء البارزين في مجالات اللغة العربية وعلومها طويلة جداً، وحسبنا أن نذكر منهم: سيبويه، والأخفش، والفراء، والزجَّاج، وابن السِّكِّيت، وابن درستويه، والكسائي، وابن السَّرَّاج، وابن جني... وغيرهم.

ومن الشعراء: سحيم، ونصيب، وزياد الأعجم، وبشار بن برد، وحماد عجرد، وأبو نواس، وأبو العتاهية، ومسلم بن الوليد، وأبو يعقوب الخريمي، وأبو الأصلع الهندي، وإسماعيل بن يسار، ومهيار الديلمي... وغيرهم ممن أتقنوا العربية وترنموا بها، وبرعوا في نظم إيقاعاتها، حتى إنّ علماء اللغة كانوا يحتجون بشعر بعضهم؛ لضبطهم أصول اللغة وقواعدها.

ومن النقاد الذين اشتغلوا بجمال النصوص العربية: ابن سلاَّم، والنَّاشئ الأكبر، والجاحظ، وابن قتيبة، وابن طباطبا، والآمدي، والحاتمي، والصولي، وقدامة بن جعفر، والفارابي، وأبو العباس النامي، وأبو حيان التوحيدي، والقاضي الجرجاني، وأبو هلال العسكري، والثعالبي، وعبد القاهر الجرجاني، وابن سنان الخفاجي، وابن رشيق، وابن الأثير، وحازم القرطاجني، والسكاكي، والقزويني... وغيرهم.

ومن رواة الشعر وشرَّاحه: أبو عبيدة، ويحيى بن نجيم، وابن الأعرابي، وابن الكلبي، والأحول، والرِّياشي، وحماد الرَّاوية، وخلف الأحمر، وعمر بن كركرة، وثعلب، وابن حبيب، والسُّكَّري... وغيرهم، كما ضربوا بسهم وافر في صنع المعاجم اللغوية، ومنهم: الجوهري، وابن فارس، والزمخشري، وابن سيده، والثعالبي، والجواليقي، والفيروزآبادي، وابن منظور... وغيرهم.

وكثرت نسبة العلماء والأدباء إلى البلاد التي ينتمون إليها، فنجد الخوارزمي، والشيرازي، والمروزي، والشهرستاني، والفارسي، والأُرَّجاني، والأبيوردي، والبلخي، والطّوسي، والهروي، والنَّيسابوري، والجواليقي، والمرزباني، والسيرافي، والعكبري، وابن الأنباري، والسنجاري، والكرماني، والهمداني، والخراساني، والتبريزي، والقزويني...إلخ.

الأندلس والغرب والمستشرقون:

وفي معرض الحديث عن انتشار اللغة العربية نذكر تحول المجتمع في الأندلس إلى اللغة العربية، وهجر اللغات القديمة. ويؤكد باحث غربي أن أسبانيا شهدت مرحلة «كان [فيها] الشبان المسيحيون يفاخرون بإتقانهم اللغة العربية» وقد كان للعربية السيادة اللغوية التامة في الأندلس عدة قرون[1]، وكتبوا بالحروف العربية وأعجبوا بالشعر العربي، وأكد المؤرخ (دوزي) أن أهل الذَّوق من الأسبان بهرتهم صناعة الآداب العربية، واحتقروا اللغة اللاتينية، وصاروا يكتبون بلغة العرب الفاتحين[2].

(١) عبد الله عبد الرحمن البريدي، اللغة العربية والهوية، جهود المملكة العربية السعودية في خدمة اللغة العربية، نشر مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية ١٤٣٤ هـ، ص (٣٨).

(٢) اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم، مجلة الخفجي، عدد سبتمبر ١٩٩٣م، ص (٥١).

ولا يمكن إغفال أثر الحضارة العربية في الأندلس التي كانت مصدر إشعاع في القرون الوسطى، ومعبراً للغة العربية إلى أوروبا وجزر المتوسط، فكان الأندلسيون ـ بما في ذلك الرهبان ـ يتسابقون إلى مدارس قرطبة؛ ليتعلموا اللغة العربية فيها، ويترجموا عنها إلى لغاتهم[1]، وكثيراً ما كان البابا في روما ممن يجيد العربية، وقد فتنتهم هذه اللغة، وحلّت محل لغاتهم في كثير من الأصقاع، يقول ألفرو (أحد كتاب القرن التاسع الميلادي): «إن المسيحيين يتعلقون بقراءة القصائد وروائع الخيال العربية، ويدرسون مصنفات علوم كلام المسلمين، لا بقصد تنفيذها، بل من أجل التمرّن على الأسلوب الصحيح الأنيق»[2].

وظهرت آثار أدبية وفكرية في أوروبا تدل على هذا التأثير، كما نجد عند توما الأكويني ودانتي وشعراء التروبادور، وأصبحت العربية اللغة الأولى في العالم في ذلك الوقت، والأداة الوحيدة لنقل العلوم والمعارف والآداب، وقد أغنى هذا الجانب وأفاض فيه كثير من الباحثين المنصفين مثل: جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب)، وتوماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام)، وزيغريد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب)، والعقاد في كتابه (أثر العرب في الحضارة الأوروبية).

وأنشئت في أوروبا الشرقية والشمالية والجنوبية المعاهد لتعليم اللغة

(١) عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت ٣/ ١٣٩٩ هـ، ص (١٨٧).

(٢) محمود عمار، تقويم مناهج اللغة العربية في مراحل التعليم العام، بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، جامعة الإمام ٢٣-٢٥/ ٥/ ١٤١٦ المجلد (٢) ص (٣٩٤)، ومجلة الخفجي كالسابق .

العربية. وأنشئ لها كراسي بحث في كبريات الجامعات الغربية، ودُرِّست إجبارياً في السويد في القرن السابع عشر، وفي روسيا في القرن الثامن عشر[١].

ومنذ هذا القرن ـ الثامن عشر ـ عُنِيَ مجموعة من الباحثين الغربيين الناهين ـ أُطْلِق عليهم المستشرقون ـ بتعلم اللغة العربية ودراستها لأغراض مختلفة، أبرزها معرفة أحوال الشرق وثقافته، وكانت وسيلتهم إلى ذلك إتقان اللغة العربية، فأعجب كثير منهم بجمال هذه اللغة، وفُتِنُوا بشِعرها ونثرها، بل عشقوا البحث في أسرارها والتنقيب فيها ـ مع أن أكثرهم يجيد خمس لغات أو ستاً أو سبعاً ـ وحققوا الكثير من مدخراتها، ولا نجد حرجاً في الاعتراف بأنهم قدموا للغة العربية خدمات جليلة في مجالات فن التحقيق والتفسير وبعث التراث، وإن كان بعضها لا يخلو من ملحوظات.

وإذا التفتنا إلى الشرق وجدنا اليابان تقوم بتدريس اللغة العربية منذ ١٩٢٥م لغةً اختياريةً ثانيةً في جامعة أوساكا، وفي سنة ١٩٤٠م أُنْشِئ قسم خاص باللغة العربية، التحق به في العام الأول (٤٩) طالباً[٢]، وفي هذه الحدود أي في سنة ١٩٤٣م بدأ الاهتمام بتدريس اللغة العربية في الصين، ثم توسع حتى شمل كثيراً من الجامعات الصينية.

ويظهر من كل ما سبق حقيقتان مهمتان:

الأولى: ما تتمتع به العربية من قدرة على استقطاب المطَّلعين عليها،

---

(١) تقويم مناهج اللغة العربية والخفجي كالسابق .

(٢) عادل باناعمة، الموقع الشبكي، اليابان ومشرق العربية، ورقة عمل مقدمة خلال الأسبوع الثقافي السعودي في اليابان ٨ـــ١٤/ ١٠/ ٢٠١٠م. الرابط:

http: / /www.banaemah.com /iec1.asp?id=19

وجذب الراغبين في تعلمها، واستهواء القلوب إلى حد الفتنة أو السحر (مجازاً) يقول مصطفى صادق الرافعي ـ رحمه الله ـ: «إن هذه العربية بُنِيَت على أصل سحري يجعل شبابها خالداً عليها، فلا تهرم ولا تموت؛ لأنها أُعِدَّت من الأزل فلكاً دائراً للنيّرَين الأرضيين العظيمين: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ. ومن ثَمَّ كانت فيها قوة عجيبة من الاستهواء، كأنها أخذة السحر، لا يملك معها البليغ أن يأخذ أو أن يدع»[١]. وهذه حقيقة يمكن ملاحظتها بسهولة في غير العرب حين يتمكنون من الحديث بالعربية، فتجد أحدهم يستعذب الحديث إليك، ويمارس ـ هذه اللعبة ـ بلذة وسعادة قد تصل إلى حد الزهو والخيلاء.

الثانية: أن كل هذه الحقائق تدفع الزعم بصعوبة اللغة العربية، وتكرار هذا الادعاء، وتدل على أنه قائم على التوهم، وترداد أفكار مشاعة، وأقوال متداولة دون دقة أو تمحيص، يشهد لهذا أننا نجد الطلاب الوافدين ـ أحياناً ـ يتفوقون على زملائهم العرب في كثير من الأنشطة اللغوية.. نعم، ربما تكون هناك صعوبة في الغوص في أعماق اللغة وفلسفتها، ومعرفة العلل والأسباب، وهذا ـ أولاً ـ مناط اهتمام النُّخب ومجال التخصص، حتى قال المستشرق الهولندي دي بور: «علم النحو أثر من آثار العقل العربي بما له من دقة في الملاحظة... ويحق للعرب أن يفخروا به»[٢]، وثانياً: فإن البحث في أسرار اللغة وعللها ليس هو اللغة، وإنما اللغة هي القدرة على التعبير عن الأفكار، وهذا يتأتى في أبسط صور التركيب اللغوي، ويكفي فيه ما يدرسه الطالب في المدرسة

---

(١) كتابه: تحت راية القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت ٨/ ١٤٠٣ هـ، ص (٣١).

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة الدكتور محمد أبو ريدة، ص٤.

الابتدائية، فهذه طريق وتلك طريق أخرى.

ثبات العربية وتماسكها:

تاريخ اللغة العربية (الذي يمتد إلى أكثر من سبعة عشر قرناً) يدل على أن هذه اللغة فيها قدرة عجيبة على التكيف مع المستجدات، ومهارة في مواجهة العقبات واجتياز المصاعب، ولو رحنا نعدد هذه الأزمات التي مرت بها اللغة العربية، لوجدنا محطات كثيرة وخطيرة لم تتجاوزها فقط وتتمكن من التغلب عليها فحسب، وإنما تمكنت من الانتصار فيها أيضاً. وهذه سمة لا نجدها في كثير من اللغات الأخرى، فقد تهاوت لغات عديدة، وانمحت أمم مختلفة،لم تتعرض لما تعرضت له اللغة العربية.

في القديم حاورت اللغة العربية كل اللغات التي دخل أهلها في الإسلام، مثل: الفهلوية في إيران، والآرامية والنبطية في العراق، والسريانية في سوريا، والقبطية في مصر، والبربرية في بلاد المغرب، واليونانية واللاتينية في الأندلس وفي جهات متعددة من تلك النواحي[١]، ولم يكن تحول هذه الشعوب إلى العربية بالأمر الهين.

ومن الطبيعي أن يكون الحوار في هذه المرحلة حوار وجود، تغلبت فيه اللغة العربية، ثم جاءت (الشعوبية) تمد رأسها كالأفعى في العصر العباسي؛ لتنفث سمومها على العرب ولغتهم وتراثهم، حتى قيَّض الله للعربية من دافع عنها، وحافظ على مكانتها. واستقبلت اللغة العربية بعد ذلك حركة الترجمة أيام الخليفة المأمون بطلاقة، ورحابة صدر؛ فتكيفت معها، واستفادت منها.

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص (٩٠).

وفي العصر الحديث واجهت اللغة العربية تيارين قويين: الأول تيار خارجي، حرص على نصر لغته، وتأصيلها في كل قطر عربي؛ حتى يثبت وجوده، ويبث ثقافته، على نحو ما فعلت فرنسا بنشر اللغة الفرنسية ـ بكل وسيلة ـ في شمال أفريقيا، وفي سوريا ولبنان، وحاربت اللغة العربية حرباً قوية، وكانت حريصة على أن تكون الجزائر امتداداً لفرنسا عبر المتوسط بلسانها وهويتها، وفي مصر فرضت بريطانيا اللغة الإنجليزية في التعليم منذ ١٨٩٧م، ولكنها تراجعت أمام إصرار المصريين على لغتهم سنة ١٩٠٤م (بينما نجحت في الهند ـ وإلى اليوم ـ في جعل اللغة الإنجليزية اللغة الرسمية فيها)، ودعم هذه التوجه سياسيون ومدنيون مثل: اللورد كرومر (المندوب السامي البريطاني)، ودانلوب (مستشار وزارة المعارف المصرية آنذاك)، وقام وليام ولككس (المهندس البريطاني) يحاضر ويؤلف ضد اللغة العربية، بصفته الناصح الأمين، ويدَّعي أن اللغة العربية هي التي حالت دون قوة الاختراع عند المصريين، ونحا نحوه القاضي الإنجليزي ولمور فألف كتاباً دعا فيه إلى هجر الفصحى، ومثل ذلك صنعت بريطانيا في العراق، وفي غيره من الأقطار التي احتلتها(١).

والتيار الآخر الذي ظهر في العصر الحديث هو فئة من أبناء العروبة خُدِعوا بالدعوة إلى العامية، ومناهضة العربية، فساروا على الدرب نفسه الذي سار عليه الفريق السابق، وراحوا يثيرون الشبه، ويدّعون أن العربية لا تساير العصر، وتابعهم وسار معهم مجموعة من أعضاء مجامع اللغة العربية، وحمل لهم الراية بعض الصحف مثل: المقتطف والمقطّم، ودعوا إلى تيسير العربية بزعمهم، وفي هذه الأثناء نظم حافظ إبراهيم ـ رحمه الله ـ قصيدته

---

(١) انظر: علي عبد الحليم محمود، مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية د.ت. ص(١٦٥) .

العصماء التي يذبُّ بها عن اللغة ومطلعها[١]:

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فاتَّهَمْتُ حَصاتِي ... وَنادَيتُ قَومِي فاحتَسَبْتُ حَياتِي
رَمَونِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبابِ وَلَيْتَنِي ... عَقِمْتُ فَلَمْ أجْزَعْ لِقَوْلِ عُداتِي

يقول الرافعي: «لن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته؛ إذ يكون مبدأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع عن نسب لغته؛ انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ لا صورة محققة في وجوده، وما ذلت لغة شعب؛ إلا ذل»[٢].

صمدت اللغة العربية لهذه الزعازع وتلك الخطط، وظلت تقاوم وتتمنع على كل محاولات الإفناء والإبادة والتشويه والإضعاف، وانتصرت عليها، بل اكتسبت مناعةً بقدرتها على التكيف، وقوةً بالانتشار المكاني والزماني، وحصانةً بمجاراة متطلبات الحضارة، نتحدث بها ـ اليوم ـ حيةً نابضةً، كما تحدثت بها الأجيال السابقة، تتمتع باستقلال شخصيتها، وثروتها اللغوية، ونقاء ديباجتها، وسلامة قواعدها، واطراد ألفاظها، والمحافظة على أصولها، وبقاء نظامها الصوتي والصرفي، وأضافت إلى ثروتها ما أمكنها أن تقوى به على المحن، وتلبي به أسباب التطور والنمو.

الناطقون اليوم بالعربية:

يتحدث العربية اليوم قرابة (٥٠٠) مليون نسمة يقطنون دول الجامعة العربية الثنتين والعشرين، في رقعة متصلة ممتدة من الخليج العربي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن بحر العرب وسواحل الصومال وجنوب

(١) ديوانه، ضبطه: أحمد أمين وزميليه، دار العودة بيروت مصورة عن ط ١٩٣٧م ١/ ٢٥٣.
(٢) مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه، ص (١٤٢).

الصحراء الكبرى جنوباً إلى البحر المتوسط وجبال طوروس شمالاً، وتنص دساتير هذه الدول على أن العربية هي اللغة الرسمية لها، يضاف إلى ذلك قبائل وشعوب كثيرة تجاور العالم العربي، يتحدث أبناؤها اللغة العربية ـ بنسب تقل أو تكثر ـ كما في تشاد، والنيجر، ومالي، والسنغال، وأرتيريا، والحبشة، وكينيا، وجنوب السودان، وجنوب تركيا، وغرب إيران. ويُقْبِل كثير من المسلمين في أنحاء العالم (وهم يمثلون خمس سكان الكرة الأرضية) على تعلم اللغة العربية بلهفة وتشوق؛ رغبةً في فهم دينهم، وأداء عباداتهم، «وتشير دراسة تطبيقية إلى أن فكرة استحالة ترجمة القرآن الكريم، وإنما تقريب معانيه، قد دفعت بالكثير من غير العرب من المسلمين إلى الاقتناع بضرورة تعلم اللغة العربية، والأهم من ذلك أنها رسَّخت لديهم اتجاهات رافضة لمقولة: إن غير اللغة العربية يمكن أن تكون لغات مشبعة لاستحقاقات الهوية الدينية»[١]، يقول مصطفى صادق الرافعي: والمسلمون قد «يختلفون في كل شيء حتى في الدين نفسه، ولا تجدهم إلا شعوراً واحداً بالروح الدينية العربية، التي مساكها الكتاب والسنة في عربيتهما الفصيحة»[٢].

ومن أجل ذلك نجد شرائح واسعة في الباكستان وأندونيسيا وبلاد الأفغان يتحدثون اللغة العربية، كما أن للعربية حضوراً مميزاً في القارة الأفريقية إلى حد أنها تعد اللغة المشتركة الأولى في هذه القارة، وبعض هؤلاء يكتب ويؤلف ويقول الشعر باللغة العربية، وبعض المناطق تعد مستودعات لكتب التراث العربي وفي مقدمتها مدينة تمبكتو في مالي، كما تؤدى باللغة العربية

(١) اللغة العربية والهوية، جهود المملكة العربية السعودية في خدمة اللغة العربية ص (٣٦).
(٢) تحت راية القرآن ، ص (١٧٤).

الطقوس والشعائر الدينية في كثير من الكنائس في العالم العربي.

الإقبال على تعلم اللغة العربية:

ونتيجة الظروف العالمية المعاصرة، وانفتاح الدول بعضها على بعض، وتهاوي الحدود الفاصلة بفعل الفضائيات، والتقارب الثقافي والفكري، وارتفاع حجم التبادل التجاري بين الدول؛ فإن العالم يشهد حركة غير مسبوقة في تعلم اللغات، ولا سيما ذات الكثافة السكانية، والتراث الحضاري، والقوة الاقتصادية... وفي ضوء ذلك تلقى اللغة العربية اليوم إقبالاً متزايداً في أوروبا وأمريكا وروسيا والصين واليابان في شكل كليات متخصصة في الجامعات، أو أقسام في الكليات، أو مراكز ومعاهد ودورات تدريبية، ومعاهد استشراق، وبعثات إلى دول عربية، وجهود شخصية أو مؤسساتية، أو مقررات دراسية إجبارية، وأوضحت دراسة أمريكية حديثة أن الإقبال على تعلم اللغة العربية في الجامعات والمعاهد الأمريكية شهد ارتفاعاً ملحوظاً في السنوات الأخيرة بنسبة ٤٦٪ مقارنة بعام ٢٠٠٦م، وبحسب الدراسة فإن عدد المتقدمين للالتحاق بصفوف تعلم العربية خلال العام ١٩٩٨م بلغ (١٠,٥٨٤) متقدم، أما في السنوات الأخيرة فقد ارتفع إلى (٣٥) ألف متقدم، وهي تعكس زيادة مطردة في تعلم اللغة العربية[١].

وهذه الظاهرة استوقفت عبد القادر الفاسي (رئيس جمعية اللسانيات بالمغرب) وجعلها مفارقة غريبة تستعصي على الفهم «حيث إن العقد الذي

(١) محمود إسماعيل صالح، اللغة العربية ومنزلتها بين اللغات، جهود المملكة ص (٦٢) والبريدي، اللغة العربية والهوية، ص (٣٢).

هُمِّشت (وحُوربت) فيه اللغة العربية هو العقد الذي سجل أكبر الأرقام في انتشارها عبر العالم، وازدهارها تقانياً وعددياً واتصالياً، مما جعل بعض الدارسين يرشحونها لأن تصبح إحدى خمس لغات عالمية كبرى وقطبية»[1].

وهذا الإقبال الكبير يعكس رغبة في تعلم اللغة العربية، والاطلاع على أجناس الأدب العربي، وألوان الثقافة، وتوجهات الشعوب؛ بسبب التقارب الحضاري الذي صنعته ثورة المعلومات، وموجة الاتصالات التي ألغت الفواصل بين الدول والشعوب، وتعاظم القوة النفطية في العالم العربي، إلى جانب حركة التنقل والترحال والسياحة، والتجارة والعمالة، والعمل الدبلوماسي بين العالم العربي والدول الأخرى، كما يدل على تقدير ما تمتلك الأمة العربية من مقدرات ثرية في الفكر والفن والإبداع.

العربية لغة رسمية في الأمم المتحدة:

إدراكاً لمكانة اللغة العربية وتراثها، وأثرها الحضاري الممتد عبر القرون والأجيال، وللكثافة العددية الكبيرة للعالم العربي، والموقع المتوسط بين قارات العالم القديم؛ كانت كثير من الهيئات والوكالات الدولية المتخصصة قد اتخذت اللغة العربية لغة عمل لها، ومن أبرزها:

- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو).
- منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (الفاو).
- منظمة الصحة العالمية.
- منظمة العمل الدولية.
- منظمة الوحدة الأفريقية (لغة عمل ولغة رسمية).

(١) السابق ص (٥٩) .

وكان دخول اللغة العربية إلى هذه المنظمات الدولية لافتاً ومحفزاً للأمم المتحدة إلى أهمية هذه اللغة وقدرتها ـ كما أشار قرارها فيما بعد ـ وتكامل ذلك مع جهود المجموعة العربية في الأمم المتحدة بالمطالبة باعتماد اللغة العربية لغة رسمية في الأمم المتحدة، ففي الجلسة العامة للأمم المتحدة ذات الرقم (٢٢٠٦) المعقودة في الثامن عشر من شهر كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٧٣م، في الدورة الثامنة والعشرين، صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ذو الرقم (د/٢٨/٣١٩٠) القاضي بإدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل المقررة في الجمعية العامة ولجانها الرئيسة، والقيام بناء على ذلك بتعديل أحكام النظام الداخلي للجمعية العامة المتصلة بالموضوع؛ فكان ذلك تتويجاً لما تستحقه هذه اللغة الشريفة من الإنصاف والتقدير، وما هو جدير بتراثها وثرائها. وجاء في ديباجة القرار إن الجمعية العامة:

- تدرك ما للغة العربية من دور في حفظ ونشر حضارة الإنسان وثقافته.
- وتدرك أن اللغة العربية هي لغة مجموعة كبيرة من أعضاء الأمم المتحدة، وهي أيضاً لغة عمل مقررة في كثير من الهيئات والوكالات المتخصصة.
- وتدرك ضرورة تحقيق تعاون دولي أوسع نطاقاً، وتعزيز الوئام في أعمال الأمم، وفقاً لما ورد في ميثاق الأمم المتحدة.
- تقوم الدول العربية الأعضاء بتغطية النفقات الناجمة عن تطبيق هذا القرار خلال السنوات الثلاث الأُوَل.

وبدخول اللغة العربية إلى قاعات الأمم المتحدة ولجانها ومحاضرها والاعتراف بها لغة رسمية على المستوى الدولي؛ أصبحت اللغات الدولية المعتمدة في الأمم المتحدة ست لغات، هي: الإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية، والصينية، والعربية. وكان هذا القرار انتصاراً كبيراً

للغة العربية، وكسباً معنوياً منحها اعترافاً دولياً، ووضعها على مصاف اللغات العالمية المحكومة بقوة شعوبها المتصلة بعالم المعرفة والتقنية، وأعاد لها مكانها الذي كانت تتمتع به في عصور سلفت في زمن تغيرت فيه المعايير، وإقراراً بأن فيها مصادر مدخرة للثقافة العالمية، وتقديراً لتاريخها المجيد الزاخر بالإنتاج والعطاء، وإبرازاً لمكانة الأمة العربية في المحيط الدولي.

وإلى جانب المنظمات السابقة فقد اعتمدتها كل من:

- منظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (اليونيسيف).
- المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.
- الاتحاد الدولي للاتصالات.
- منظمة السياحة العالمية (في مجال الترجمة).
- منظمة دول الساحل والصحراء.
- المقابلة العامة الأسبوعية للبابا.
- منظمة التعاون الإسلامي.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (إليكسو).
- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو).
- منظمة الأوبك .

اليوم العالمي للغة العربية:

وليس من شك في أن اعتماد الأمم المتحدة اللغة العربية لغة رسمية بين لغاتها الرئيسة يدعو سائر المنظمات التابعة لها إلى إفساح المجال؛ لاعتماد هذه اللغة والاعتراف بها، وقد قامت منظمة اليونسكو (بوصفها راعية للتربية والثقافة والعلوم على مستوى العالم) بمجموعة من المبادرات

التي تهتم بمختلف اللغات بوصفها وعاءً للثقافة والعلوم، ومصدراً للتفكير والتعاطي العلمي والإبداعي، ووسيلةً للتعبير عن الحضارات المختلفة، والتنوع التراثي بين الأمم والشعوب. وقد أفادت اللغة العربية من هذه المبادرات ضمن حزمة من الأنشطة الثقافية التي تسهر عليها المنظمة، ومن ذلك:

- الاحتفال بـ(اليوم الدولي للغة الأم)، وخُصِّص له يوم ٢١ من شهر شباط/فبراير من كل عام؛ من أجل النهوض بالتنوع اللغوي والثقافي في العالم، وقد جاء ذلك ضمن الدورة الثلاثين للمؤتمر العام في ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٩م.
- الاحتفال بـ (سنة ٢٠٠٨ سنةً دوليةً للغات)، وقد صدر ذلك بقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٦ أيار/مايو ٢٠٠٧م، بناءً على توصية من المؤتمر العام لليونسكو في الدورة الثالثة والثلاثين المعقودة في ٢٠ من تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٥م.
- تخصيص (يوم عالمي لكل لغة من لغات الأمم المتحدة الست)، اعتمدت إدارة الأمم المتحدة لشؤون الإعلام عشية الاحتفال بـ(اليوم العالمي للغة الأم) قراراً بتاريخ ١٩ من شباط/فبراير ٢٠١٠م، يقضي بالعمل على الاحتفال كل عام بيوم عالمي لكل لغة من اللغات الست للأمم المتحدة، في إطار دعم تعدد اللغات وتعزيزها، وتعدد الثقافات في منظومة الأمم المتحدة، وحددت كل مجموعة يوماً من العام، له دلالة في تاريخ لغتها؛ فكان ترتيبها حسب التدرج الزمني على النحو الآتي:

١- ٢٠ آذار/مارس: الاحتفال بيوم اللغة الفرنسية.

٢- ٢٠ نيسان/إبريل: الاحتفال بيوم اللغة الصينية.

٣- ٢٣ نيسان/ إبريل: الاحتفال بيوم اللغة الإنجليزية.

٤- ٦ حزيران/يونيو: الاحتفال بيوم اللغة الروسية.

٥- ٢١ تشرين الأول/أكتوبر: الاحتفال بيوم اللغة الإسبانية.

٦- ١٨ كانون الأول/ديسمبر: الاحتفال بيوم اللغة العربية.

وبناءً على طلب المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية؛ أدرج المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو في دورته التسعين بعد المائة في ١٨من شهر أكتوبر ٢٠١٢م، البند (٤٨) في جدول الأعمال القاضي بتكريس يوم ١٨ديسمبر من كل عام يوماً عالمياً للغة العربية، وأقر المجلس التنفيذي لليونسكو مشروع القرار، ونوّه في قراره بالنقاط التي سبق أن ذكرتها الجمعية العمومية للأمم المتحدة حول اعتمادها اللغة العربية، وأضاف:

أن اللغة العربية هي لغة اثنتين وعشرين دولة من الدول الأعضاء في اليونسكو، وهي لغة رسمية في المنظمة، ويتحدث بها ما يزيد على (٤٢٢) مليون عربي، ويحتاج إلى استعمالها أكثر من مليار ونصف المليار من المسلمين في أنحاء العالم.

يقدر المجلس ما قدمته الدول العربية، وتلك التي تتخذ اللغة العربية لغة رسمية، من تأكيدات لحفظ وصون هذه اللغة والاحتفاء بها.

يدعو المديرة العامة إلى إدراج اليوم العالمي للغة العربية الموافق ١٨كانون الأول/ديسمبر من كل عام ضمن الأيام الدولية التي تحتفل بها اليونسكو.

واحتفلت اليونسكو في تلك السنة للمرة الأولى بهذا اليوم، وفي ٢٣ من شهر أكتوبر عام ٢٠١٣م قررت الهيئة الاستشارية للخطة الدولية لتنمية الثقافة العربية (أرابيا) التابعة لليونسكو اعتماد هذا اليوم العالمي للغة العربية بوصفه أحد العناصر الأساسية في برنامج عملها كل سنة.

والغرض من هذه الاحتفالية زيادة الوعي بين الدول الأعضاء ومنظومة الأمم المتحدة وموظفيها، والعناية باللغة العربية وثقافتها وتطورها، وبعث الوعي بأثرها في التقدم العلمي، وبناء الفكر والثقافة، والتعبير عن الهوية، وتكوين القيم، وغرس الاتجاهات، والترابط بين الأجيال، والكشف عن قيمة التراث الذي صنعه السابقون، وأهميته في التواصل الحضاري بين الشعوب.

ويقوم المسؤولون والمتابعون والمهتمون بشأن اللغة العربية بإعداد برامج وأنشطة لهذا اليوم بما في ذلك دعوة شعراء وكتاب وأدباء معروفين للمشاركة في الاحتفالية، وتطوير مواد إعلامية متعلقة بالحدث، وتقديم قراءات أدبية، ومسابقات تنافسية، وإقامة معارض ثقافية، ومحاضرات توعوية، وعروض فنية ومسرحية وشعبية، وحث وسائل الإعلام على إبراز المناسبة، والتشجيع على إجراء دراسات بينية (بين اللغة العربية وغيرها من اللغات)، وإيجاد مناسبات للتعرف على المخزون الثقافي والاجتماعي في التراث اللغوي، وفي ذلك تعبير عن التنوع الثقافي للدول الناطقة بها، وفرصة لاستكشاف المزيد من عبقرية اللغة العربية، وأثرها في الحضارة الإنسانية.

٣

العربية جمالاً وجلالاً

مخارج الأبجدية العربية:

تتكون أبجدية الحروف العربية من (٢٨) حرفاً، وكل واحد من الحروف في حال تركيبه في الكلمة إمّا أن يكون ساكناً أو تعتريه إحدى الحركات القصيرة: الكسرة، أو الضمة، أو الفتحة. وإذا قمنا بعملية خلط وتركيب لهذه الأوضاع نتج عندنا أكثر من مليوني صورة تركيبية، ولكن الأذن العربية لم تقبل كل هذه التشكيلات، وإنما اختارت من هذه التراكيب ما ائتلفت حروفه، وتجانست أصواته، وعَدّت ما خرج عن ذلك مهملاً غير صالح للاستعمال، بمعنى أنها فرزت هذا المنتوج؛ لتأخذ منه ما تسيغه الأذن، ويقبله الذوق، وحكمت على بعض التراكيب بالتنافر والغرابة، ولم تنصح باستعمالها، ومع ذلك فقد تبقى لها ثروة هائلة، تفاخر بتنوعها وغزارتها، فهي تعج بدقائق الأوصاف، وكثرة المترادفات، وتعدد الأسماء، وتتفوق في مرونتها ودقتها وقدرتها على كثير من اللغات الحية، إذ يضم

المعجم العربي نحو (٨٠) ألف جذر لغوي، وهي بهذا الكم الهائل تمثل خمسة أضعاف ما يضم معجم اللغة الإنجليزية تقريباً.

حروف الأبجدية في اللغة العربية لا تمنحها ميزة بكثرة الحروف، ولا بوفرة المخارج، فهناك لغات كثيرة تتفوق عليها عددياً كالصينية أو الروسية أو اليابانية، ولكن العربية تتميز بوفرة المفردات وثراء اللغة، والقدرة على التعبير عن الخواطر، والوفاء بمطالب البحث والعلم لا تتوقف على عدد حروف الهجاء، كما لا ينبغي أن ننسي أن الحرف في اللغة العربية تعتريه الحركات الثلاث أو يخلو منها فكأنه أربعة أصوات، وكأن الحروف المذكورة في قوة (١١٢) حرفاً، وإذا كان (بَ بُ بِ بْ) عند العربي حرفاً واحداً تغيرت حركته، فإن من لا يعرف العربية يسمع أربعة أصوات، وليس صوتاً واحداً، ولو أضفنا حروف المد؛ لأنها من جنس الحركة فستتضاعف هذه الحروف، ولعل في هذا الاختصار المتضمن التفريع يكمن وجه من وجوه إعجاز هذه اللغة العبقرية.

ومعنى ذلك أن الحرف العربي يتحكم فيه نوعان من الحركات: قصيرة، هي: الحركات الثلاث، وطويلة، هي: حروف المد، وهي من جنس الحركة، والفارق بينهما فارق زمني عند النطق، فالحركة تستغرق نصف الحرف، كما أن الحرف يستغرق ضعف الحركة أو أكثر، فاللغة العربية تفرِّق زمنياً وكتابياً بين حرف الذال في (ذَهب)، وحرف الذال في (ذاهب)، وبين حرف الفاء في (فُل)، وحرف الفاء في (فُول)، وبين حرف العين في (سعِدَ) وحرف العين في (سعِيد)، ولكل واحد منهما أثره في الدلالة وتنميط اللغة.

ومن يتأمل أصوات الحروف العربية يجدها واضحة الوقع متباينة المخارج لا يتشابه بعضها ببعض، ولا سيما على من يتقن الحديث بها،

أو الاستماع إليها، وفيها مرونة تجعل الشعراء يتفننون في استخراج طاقات الحروف، وتوظيفها في أغراضهم المختلفة، وفيها حروف لا توجد في غيرها من اللغات كالضاد (وبها تسمى أحياناً)، والظاء، والعين، والقاف، والحاء، والطاء[١]، ولعل هذه القوة في الحروف تعود إلى أن اللغة العربية تستعمل كامل جهاز النطق في الإنسان من أقصى الحلق إلى الشفتين وأرنبة الأنف كما لا تستعمله لغة أخرى، في الوقت الذي تركز فيه بعض اللغات على مقدم الفم، أو أحد جانبيه، أو يتكرر فيها الحرف مع الاختلاف في التخفيف والتثقيل كما في (p-b) و(f-v) و(j-g) باللغة الإنجليزية، وهذه الخاصة حفَّزت العقاد على أن يقول عن العربية: «هي لغة إنسانية ناطقة، يُستخدم فيها جهاز النطق الحي أحسن استخدام، يهدي إليه الافتنان في الإيقاع الموسيقي، وليس هناك أداة صوتية ناقصة تحس بها الأبجدية العربية»[٢].

موسيقا بناء الألفاظ:

تأبى اللغة العربية على بعض الحروف أن تلتقي في كلمة واحدة؛ لأن اجتماعها يسبب كدراً في النطق، ونفوراً في الأذن، وثقلاً على اللسان، كاجتماع الخاء والهاء مثلاً، كما تأبى أن تبتدئ الكلمة بساكن، أو يجتمع فيها ساكنان، أو أن يتجاورا في كلمتين (كآخر الأولى وأول الثانية) فتتخلص من ذلك بكسر الأول، تقول: قامتِ الجامعة بواجبها، فتكسر

(١) اقترح ميخائيل نعيمة أن تسمي العربية «لغة الحاء» في مقال طريف ذكره العقاد في كتابه أشتات مجتمعات ولم أجده في المجموعة الكاملة لأعماله المكونة من (٢٦) مجلداً .

(٢) كتابه: اللغة الشاعرة دار غريب القاهرة د.ت، ص (١٢).

تاء (قامت)؛ تخلصاً من التقاء الساكنين، وفي القرآن الكريم: {لم يكنِ الذين} [البينة: ١].

وإذا التقى في الكلمة مثلان متحركان أُدْغِمَا في حرف واحد مثل: شدَّ، يشدُّ، فإذا سكن الثاني، لسبب من الأسباب، فُكَّ الإدغام؛ للتخفيف، تقول: شدَدْتُ، شدَدْنا، ولم نشدُدْ، وإذا تقارب الحرفان في المخرج قُلِب الأول إلى جنس الثاني كما في: ممَّن، وممَّ، وممَّا، وعمَّن، وعمَّ، وعمَّا، وإمَّا، وألا، إلا؛ فقد قلبت النون في هذه المواضع ميماً أو لاماً، ثم أدغمت فيما بعدها؛ رغبةً في التخفيف والانسجام. وإذا التقى حرفان: مفخم، ومرقق؛ فُخِّم المرقق، ليجانس جاره، كما في: يضطر، ويصطبر، يزدهر، يدّافع، يصّدق، واتصل (من الوصل)، وكل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها الطاء أو الخاء أو الغين أو القاف تالياً أو مفروقاً جاز إبدال الصاد بالسين، كما في: بسطة وبصطة، وسخّر وصخّر، ومسغبة ومصغبة، وسيقل وصيقل[١]، ويلحظ ذلك من أرهف السمع وتتبع أصوات القراء.

وإذا اجتمعت همزتان ثانيتهما ساكنة يتحولان إلى مد، مثل: آدم، وآكُلُ، وآمنَ، وإيمان. وكذا إذا كانت على السطر وجاء بعدها ألف، مثل: مرآة، وجزآن، وقرآن. وإذا جاء حرف العلة بعد حركة تخالفه قُلِب حرفاً من جنسها؛ تسهيلاً للنطق وانسجاماً للفظ، كما قُلِبَت (واو): ميزان، وميقات، وعصافير، و(ياء): مُوسر، ومُوقن، و(ألف): مفاتيح، ومناشير. وإذا تحرَّك حرف العلة وسط الجملة سبَّب ذلك نوعاً من الثِّقل،

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ت/ إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، د.ت، ٥/ ٤٠٣.

يجب التخلص منه بالقلب، كما في: قال، وباع، ومنارة، ومقال (أصلها: قَوَل، بيَع، مَنْوَرة، مَقْوَل).

وإذا سببت حركة الإعراب ثقلاً في النطق، فاللغة تؤثر السلاسة وتتنازل ظاهرياً عن الإعراب ـ رغم مكانة الإعراب فيها ـ وتجعله مقدراً، تقول: العبد يرضي ربه، والقاضي يحكم بالعدل؛ فتقدر عليهما الضمة. وقد تلجأ اللغة إلى الحذف؛ ابتغاء التخفيف والتيسير في النطق، كما في ألف: ممَّ، وعمَّ، وإلامَ (في حال السؤال)، وتقول: أكرم يُكرِم، ووصف يصف، بحذف الهمزة من مضارع الأول (يؤكرم)، والواو من مضارع الثاني (يوصف)، كما تقول: قاضٍ، ومراعٍ، بحذف الياء في الرفع والجر.

إنها (اللغة الشاعرة) بكل أبعاد الكلمة ودلالاتها، ولم يكن العقاد ـ رحمه الله تعالى ـ مبالغاً حين وصفها بهذا الوصف، الذي لم يسبقه إليه أحد، على الرغم من كثرة الدارسين والمحللين للغتنا، ولم يصفها بذلك «لأنها لغة يكثر فيها الشعر والشعراء، ولا لأنها لغة مقبولة في السمع، يستريح إليها السامع، كما يستريح إلى النظم المرتل، والكلم الموزون» فقط، كما يقول[(١)]، بل لأنها «بُنِيَت على نسق الشعر في أصوله الفنية الموسيقية، فهي في جملتها فن منظوم، منسق الأوزان والأصوات، لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه، ولو لم يكن من كلام الشعراء، وهذه الخاصة في اللغة العربية ظاهرة في تركيب حروفها على حدة، إلى تركيب مفرداتها على حدة، إلى تركيب قواعدها وعباراتها، إلى تركيب أعاريضها وتفعيلاتها في بنية القصيد»[(٢)].

---

(١) اللغة الشاعرة، ص(٥).

(٢) السابق، ص(٩).

ومن مظاهر هذه الشاعرية في اللغة العربية أنها أخضعت بنية التركيب في الأفعال والأسماء إلى حجم لا تتجاوزه؛ فهي لا تقبل كلمة تقل عن ثلاثة أحرف في الأصل، ولا يزيد الفعل فيها على ستة أحرف، كما لا يزيد الاسم على سبعة أحرف؛ لحظوا في الاسم الخفة فزادوا، ولحظوا في الفعل الثقل، لاقترانه بالحدث والزمن فأنقصوا، وبهذا النظام الصوتي الدقيق أصبح لكل كلمة في اللغة العربية ـ شرَّقت أو غرَّبت ـ ميزان معلوم، لا تخرج عنه، ولا تتجاوز حدوده، وأمكن تقديم قوائم لأوزان الأفعال والأسماء التي تكون عليها الكلمات العربية، وكل لفظ أو تركيب منضبط بموسيقا النُّطق وطريقة الأداء العربيين، وهذا الميزان الدقيق أقصى ما تتمناه لغة موسيقية؛ لأنه يضمن لها خفة الكلمة، ويسر النطق، وتجانس الكلمات داخل الجمل التركيبية، وهو ما لا نجده في كثير من اللغات.

قابلية التطور والنمو:

وقد اكتسبت العربية هذه الخصيصة من كونها لغة اشتقاقية متصرفة، وليست لغة عازلة أو لغة لاصقة، تعوِّل على الدمج واللصق بين كلمتين أو أكثر مما يضاعف حجم الكلمات، وقد تصل إلى ثلاثين حرفاً، كما نجد في الإنجليزية أو الفرنسية ـ مثلاً ـ ومن ثَمَّ لا يمكن أن تخضع لميزان معيَّن كما هو الشأن في العربية، فإن احتاجت العربية إلى شيء من ذلك، لجأت إلى التركيب الإضافي أو المزجي أو الحكائي الذي تظل فيه الكلمة محتفظة بدلالتها وشخصيتها.

ومن الطبيعي أن تكون المعايير الوزنية ـ أيضاً ـ حاضرة في أنواع المشتقات، داعمة لهذا الأصل الموسيقي، واقتران أكثرها بحرف الميم في أوله

يحدث تناغماً في التراكيب العربية، مع أهمية المشتقات وانتشارها في اللغة العربية؛ لأنها تنهض بكل مقتضيات التطور، وتلبي كل احتياجات الحضارة والتكنولوجيا، وتمثل ماكينة إنتاج وتفريخ لتوليد ألفاظ المخترعات، ووضع مصطلحات المدنية (مثل: اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، واسم المكان، واسم الزمان، واسم الآلة، واسم المرة، واسم الهيئة، والمصدر الميمي، والمصدر الصناعي، والمصدر الأصلي)، وكل صيغة من هذه الصيغ تحمل دلالة معينة، وهي بذلك ثروة دلالية تضاف إلى الثروة المعجمية للغة، وتجعل الجذر الواحد قبيلة كاملة من المفردات التي يُشْتَمُّ منها المعنى الأصلي، وارتباط هذه المفردات بالأصل يسهل على المتعلم إدراك المعنى أو تَلَمُّسه، ويحد من عدد المفردات الواجب عليه حفظها للتعبير عن مراده، ويختصر عليه الوقت في التعلم.

وهناك مصدر لغوي ذو أهمية كبيرة، يمكن الإفادة منه في إرفاد اللغة بكلمات حديثة متطورة، وهو المعروف بـ (باب النحت)، إذ يشكل مصدراً يمدّ اللغة بكثير من ألفاظ الحضارة. فقد كان العرب يمارسونه في كلامهم، فيقولون: عبدري، وعبشمي، وهلَّل، وحوقل، ونقول اليوم: درعميّ (نسبة إلى دار العلوم)، وكَلْغَرِي (نسبة إلى كلية اللغة العربية). ومن ثَمَّ ففي مقدورنا أن نفعل ذلك في كثير من المصطلحات الحديثة، مثل: البث الإذاعي، وإدارة البرامج المشتركة، والشبكة العنكبوتية، والموجات السالبة والموجبة، وكرات الدم الحمر...إلخ[1]، كما يمكن في الوقت نفسه

(١) قريب من هذا ما ذهب إليه ابن فارس من أن أصل اللغة ثلاثية، وأن أكثر ما زاد على ذلك مكون من كلمتين فأكثر، نحتت منهما كلمة آخذة منهما جميعاً بحظ، وقاس ذلك على باب النحت الذي قال به الخليل، انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة ت/ عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت ١/ ١٤١١هـ/١/ ٣٢٨.

الإفادة مما يعج في القواميس من كلمات مهجورة أو حتى مهملة في تلبية الحاجات المعاصرة.

واللغة العربية تفتح صدرها ـ إلى جانب ذلك ـ لترجمة المصطلحات وتعريبها وقبول الدَّخيل، ولديها قدرة فائقة على هضم الغريب وإضفاء الروح العربية عليه بموسقته، وتكييفه بحيث يتلبس بالنَّفَس العربي والسحنة العربية، وفي اللغة ألفاظ كثيرة دخلت في عصور مختلفة، ولكنها خضعت للوزن العربي، والمخارج العربية حتى التبست بما كان من أصل عربي، نظمها الشعراء، وجرت على ألسنة الكتاب، ولا نعدها اليوم غريبة أو دخيلة. وللعربية خبرة واسعة في هذا الشأن بدأت منذ العصر الجاهلي، واستمرت حتى ترجمة الثقافة اليونانية، ونهضة العلم في العصر العباسي، حيث لبَّت كل احتياجات البحث العلمي، وتطورات الحضارة آنذاك، وقبلت مئات الكلمات، وأُلِّفت فيها كتب ومعاجم. واللفظ الأجنبي ـ إن لم يكن له مرادف ـ فإنَّ اللغة العربية لا تضيق ذرعاً به عند الضرورة؛ لأن شخصية اللغة تكمن في التركيب، وليس في المفردات.

بساطة الزمن في العربية:

وفي اللغة العربية أداة أخرى من أدوات السهولة واليسر، وسرعة التطبيق والاستعمال، ألا وهو (التوظيف اللغوي للزمن)، فالزمن في اللغة العربية ثلاثة أقسام تتسم بالبساطة البالغة، خالية من التفريع والتقعيد، هي: الماضي، والحاضر، والمستقبل، ولا رابع لها، وفي تراكيب اللغة العربية وأدواتها ما يمنح المتكلم والكاتب والشاعر والأديب القدرة على التعبير عن كل لحظة زمنية أو معنى يملأ نفسه كيف يشاء. بينما ينقسم الزمن في اللغة

الإنجليزية ـ مثلاً ـ إلى: بسيط، وتام، ومستمر، وتام مستمر، وكل واحد منها ينقسم إلى: ماض، وحاضر، ومستقبل؛ فتصبح الأزمنة اثني عشر زمناً (٤×٣=١٢) وقد تزيد، وهذا التعدد في الزمن الإنجليزي لم يعط الإنجليزية ميزة تتميز بها من العربية، أو قدرة في التعبير لا تتأتى للمتحدث باللغة العربية، أو وسيلة يتفوق بها الأديب لا يبلغها بلغات أخرى.

لا حاجة لرابط ولا لفعل مساعد:

ولا تحتاج اللغة العربية إلى رابط بين ركني الجملة، فأنت تقول مثلاً: الفكر مثمر؛ تخبر عن الفكر بأنه مثمر، الأول مبتدأ، والثاني خبر، وهناك رابط ذهني أو معنوي لا يُتَلَفَّظ به، يربط بين الكلمتين، ولكن هذا الرابط في كثير من اللغات لا يُكْتَفَى باستحضاره ذهنياً، وإنما لا بد من التَّلَفُّظ به، وإلا عُدَّ ذلك نقصاً أو خللاً في التركيب، وموضع هذا الرابط وسط الجملة، وهو في اللغة الفارسية ـ مثلاً ـ فعل (أست) وفي الإنجليزية فعل الكينونة (Verb to be) وفي الفرنسية فعل (Verb Etre) ويتولد من هذين الفعلين في ـ الإنجليزية والفرنسية ـ أفعال أخرى، يجب أن تناسب الزمان ونوع الضمير أو المبتدأ، وهذه الأفعال المساعدة في اللغات الثلاث لا تؤدي وظيفة دلالية أو فنية في التعبير أو في عقل المتحدث أو نفسيته، وهذه خصيصة تظهر الطبيعة العملية السهلة في اللغة العربية.

ومن هذا القبيل ـ أيضاً ـ أساليب النفي، فالعربية لا تحتاج إلى أكثر من إدخال أداة النفي على الفعل المراد نفيه، ماضياً كان أو حاضراً أو مستقبلاً، دون تغيير فيه، وفي كثير من اللغات لا يتم النفي إلا بالاستعانة بفعل مساعد إضافي مع الفعل الأصلي، وينتقل الزمن من الفعل الأصلي

إلى الفعل المساعد، ففي العربية تقول في الماضي: ما أقلعت الطائرة، وفي المضارع: لا تقلع الطائرة، وفي المستقبل: لن تقلع الطائرة، أما في الإنجليزية فتقول:

The airplane did not depart (في الماضي).

The airplane does not depart (في المضارع) .

The airplane Will not depart (في المستقبل)

ومن خلال ما سبق يتضح مقدار التركيز والاختصار الذي تتميز به اللغة العربية، ويظهر ذلك بجلاء حين نقوم بترجمة نص من النصوص إلى اللغة العربية، ونقارن من حيث المساحة بين الأصل والنص العربي المترجم.

الإعراب ميزة اللغة العربية:

أمَّا الإعراب فقد عدَّه العقاد مظهراً من مظاهر الشَّاعريَّة، وآية السليقة الفنِّيَّة في التراكيب العربية المفيدة، وأثراً من آثار استخدام الحركة في التعبير عن المعنى كإشارة اليد، وملامح الوجه، ونبرة الصوت إبَّان نشأة اللغة[1]، وهو إحدى خواص اللغة العربية، فهناك لغات تخلو تماماً من هذه الحِلْيَة البلاغيه المهمة، ولغات قد تظهر فيها بعض قواعد الإعراب الخاصة، ولا نكاد نجد لغةً تستكمل كامل عدة الإعراب، بحيث يشكل شبكة من العلاقات المتداخلة الرابطة بين أطراف الكلام، كما هو الشأن في اللغة العربية، فقد «تفردت بين لغات العالم بهذه الخاصة الفنية»[2]، وهذه ظاهرة نُضْج وتطوّر، فالآلة ـ كل آلة ـ في البداية تكون بسيطةً، ثم تتطوّر

(١) اللغة الشاعرة ص (٢١) .

(٢) السابق .

وترتقي، وتكثر أجزاؤها، وتتعدّد خدماتها، وعلينا أن نرجع إلى ما كانت عليه السيارة والساعة والطائرة والباخرة والجوال والصاروخ ـ مثلاً ـ إلى عهد قريب، ثم إلى ما صارت إليه من التطور؛ لندرك أن الزَّمن عامل من عوامل الرُّقي والتَّقدُّم.

والإعراب مهارة تحتاج إلى قدر كبير من التَّبصُّر واليقظة والوعي؛ حتى تتكوَّن المَلَكَة اللغوية عند المتحدِّث، و«حصول ملكة اللسان العربي [كما يقول ابن خلدون] إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خياله المنوال [أي: المنهج] الذي نسجوا عليه تراكيبهم؛ فينسج هو عليه، ويتنزّل بذلك منزلة من نشأ معهم، وخالط عباراتهم في كلامهم، حتى حصلت له المَلَكَة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم»[١]، ويؤدي الإعراب وظائف منها:

يحدث ترابطاً بين مفردات الجملة، تسهِّل الانتقال بينها، وتؤدي إلى تماسك البناء اللغوي كالأسمنت بين وحدات البناء، ويمكن ملاحظة ذلك بنطق جملة إنجليزية أو فرنسية وترجمتها إلى اللغة العربية مثل: I can speak English (أنا أستطيعُ أنْ أتكلَّمَ الإنجليزية).

يعبر عن المعاني المختبئة داخل الكلمات، وعلاقة بعضها ببعض كالفاعل، والمفعول، والحال، والصفة، والزمان، والمكان... إلخ.

يعبر عن معان لا تعبر عنها الكلمات من حيث التقديم والتأخير، وإفادة الحصر، أو الاهتمام باحتفاظ الكلمة بحالة إعرابها، فإذا أخذنا جملة مكونة من أربع كلمات، كقولنا: شرب حامد العصير بارداً. وحاولنا إعادة تشكيلها بالصور الممكنة في التركيب اللغوي، خرج معنا أكثر من (٢٠)

---

(١) مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان د.ت. ص: ٥٦١ .

صورة مقبولة لغوياً، متفقة في المعنى العام أو المضمون الكلي، مختلفة فيما وراء ذلك، من إبراز معنى هنا وإخفاء معنى هناك، ومن التركيز على أمر في واحدة، وإهماله في أخرى، ومن الإجابة عن تساؤل لمتلق وتساؤل آخر عند غيره، يدلنا على ذلك موقع الكلمة في الجملة وحركة الإعراب التي تمثل إشارة لغوية أو مرورية لفهم المعنى وتحديد مساره، وهذه الخاصة منحت اللغة العربية مرونة في التركيب؛ لوجود الحراسة على المعنى بالحركة الإعرابية، وأعطت الشعراء فرصة لتلبية احتياجاتهم في إقامة الوزن، وتخير القافية، وتحقيق قيم فنية في عالم الشعر؛ تقوي البناء، وتثري الرؤية، وتساعد على الإيحاء بما لم تقله الكلمات ولم تنطق به، بينما يتحكم ترتيب الكلمات في اللغة الإنجليزية ـ مثلاً ـ في المعنى، ويتغير بتغير موقع الكلمات؛ لعدم وجود أدلة على المعنى المقصود، وانظر مرة أخرى إلى قول أبي الطيب[(١)]:

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعاتِ فِي جَمْعِ مالِهِ ... مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الفَقْرُ

فالذي يحدد المعنى في هذا البيت ارتباط جواب الشرط بفعل الشرط، وعلاقة الخبر (الفقر) بالمبتدأ (الذي)، وتحويل الفعل المتعدي (فعلَ) إلى لازم، وكفه عن أن يتسلط على كلمة الفقر، لتكون مفعولاً به، ودلالة المبتدأ على المفعول، والمفعول لأجله (مخافة فقر) مهَّد للخبر، والكناية باسم الشرط (ومن) عن الموصوف، وظلال التعبير بقوله (ينفق الساعات)؛ ولهذا قيل: «هذا البيت من أحسن الكلام وبديعه، وهو من كلام الحكمة»[(٢)].

هذا هو الإعراب الحقيقي المرتبط بفهم المعنى وليس تكرار الصيغ المحنَّطة من قوالب الإعراب، ونحن نحمد للغتنا اطراد نحوها وصرفها ـ

(١) ديوانه بشرح العكبري ت/ مصطفى السقا وزميليه دار المعرفة بيروت ١٩٩٧هـ ٢/ ١٥٠

(٢) كالسابق هـ (١٠) .

وكتابتها أيضاً ـ بقواعد ثابتة، ومن يشكو كثرة جموع التكسير ـ مثلاً ـ في العربية، سيحمد لها الاطراد النِّسبيّ في هذه القواعد إذا درس ـ مثلاً ـ اللغة الألمانية؛ ولهذا يكتب الألمان على كتب تعليم اللغة عندهم «احفظ مع كل اسم أداة تعريفه، وصيغة جمعه؛ لأنه ليست هناك قاعدة لذلك»(١).

العربية لغة العلم والإبداع:

تمتلك الأمة العربية رصيداً ضخماً من التراث الفكري والثقافي نما وازدهر في مسيرتها الحضارية الطويلة، وتدرجها في مراحل التاريخ، والتطور الحضاري، وتعرّضها لدورات الارتفاع والهبوط، وتغلُّبها على الهزائم والصعاب، ووقوفها في وجه الشدائد، وقد عبَّرت اللغة العربية عن كل هذه الأطوار، وأوفت بمتطلبات كل مرحلة، وقدَّمت للعالم معيناً من المعارف والعلوم والترجمة، واستحقت بجدارة أن تكون اللغة الأولى للعلم والحضارة البشرية في حقبة تاريخية ليست ببعيدة، شهد لها بذلك كثير من الباحثين في الشرق والغرب، وما تزال إبداعات ابن سينا، وابن رشد، والفارابي، والبيروني، وابن النفيس، وابن الهيثم، والزهراوي، في القانون، والطب، والفلسفة، والرياضيات، والفلك، والهندسة، والعمران... موضع إعجاب كثير من الباحثين والمنصفين في الجامعات ودوائر البحث، وموضع اعتزاز للفكر العربي، وكانت مصدراً اعتمد عليه الغرب في تأسيس نهضته المعاصرة في خطواتها الأولى، كما استطاعت الثقافة العربية واللغة العربية أن تحتفظ بقسط وافر من التراث اليوناني، وأن تضيف إليه.

(١) رمضان عبد التواب، بحوث مقالات في اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة والرفاعي بالرياض ١٤٠٣هـ، ص (١٦٧)

أمَّا في عالم الأدب والإبداع فاللغة العربية تمتلك ديواناً زاخراً من الإبداع الفني، ونهراً جارياً من الشعر والنثر، عبَّر عن النَّوازع الخيِّرة والعواطف النبيلة، وصوَّر حالات النفس البشرية في سموها وهبوطها، ولينها وقسوتها، وانتصارها وهزيمتها، وموقفها من قضايا الموت، والحياة، والكون، ومصير الإنسان... وأذكرك بشعر زهير في الدعوة إلى السَّلام، ورائية جرير في العلاقات الزوجية، ودالية أبي العلاء وتأمله في مشكلة الموت والحياة، وأبيات المتنبي في وصف الحمَّى، وبائية ابن خفاجة في وصف الجبل، ونونية ابن زيدون في وصف عاطفة حبه... وفي العصر الحديث نمرّ بالبارودي، وشوقي، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران، ثم يبرز أمامنا شعر نزار قباني، ومحمود درويش، وأبي ماضي، وأبي القاسم الشابي، وسميح القاسم، وغازي القصيبي... وغيرهم. وفي ميدان الكتابة الفنية نجد كتابات الجاحظ، وابن المقفع، وبديع الزمان، وابن العميد، والصاحب بن عباد، والحريري، وكتابات الرافعي، والزيات، والعقاد، والحكيم، والطيب صالح، ونجيب محفوظ... إلخ، وبعض النقاد يضع الإغريق والعرب في قمة الشعوب الموهوبة، المتميزة بالشعر، المبدعة في نحت الحرف، المتذوقة للجمال.

وقد شهد هذا العقد ارتفاعاً منقطع النظير لمستعملي الشابكة باللغة العربية وقفز إلى (٦١) مليوناً بنسبة ١٧,٥٪ من عدد السكان، بعد أن كان قبل عشر سنوات لا يتجاوز مليونين ونصف، واحتل العالم العربي المرتبة السابعة دولياً متفوقاً على بلد كفرنسا[١].

(١) اللغة العربية ومنزلتها بين اللغات، جهود المملكة في خدمة اللغة العربية ص (٥٨).

ثراء المعجم اللغوي:

كل هذه الأدوات الدقيقة المحكمة من قواعد الموسيقا، وأحكام الإعراب تدور خلال ثروة لغوية منقطعة النظير، لا يستعمل منها اليوم في اللغة العلمية والأدبية إلا أقل القليل، وأقل منه ما يستعمل في الحياة اليومية، والكثير هو ما تضمره بطون القواميس والمعجمات، ينتظر طبقة من الكُتَّاب واللغويين ينفضون عنه التراب، ويقربونه إلى المتعلِّمين والنَّاشئة، تماماً كما كان يفعل أصحاب المقامات حين يقرِّبون اللغة للناشئة من خلال أسلوب محبب، حتى أصبح بستان الحريري الذي يشرح فيه مقاماته كعبة القصاد ومورد الرواة من كل أنحاء العالم الإسلامي، حتى من الأندلس أقصى الغرب.

وما في معاجم المعاني والألفاظ من كلمات حول أنواع الطعام والشراب واللباس والمسكن ومستوياتها وفنون إعدادها، وأشكال النبات والثمر والفاكهة وأحجامها ومقدار نضجها...؛ يدل دلالة قاطعة على أنهم كانوا يعيشون على قدر من الحضارة والذوق الرفيع. ولو عرضنا أسماء أعضاء جسم الإنسان؛ لبهرتنا قائمة طويلة من أسماء الأعضاء الداخلية والخارجية وما يعتريها من الجمال والقبح، ومن الصحة والمرض، والامتلاء والخلو، وليس من شك في أن اللغة في كل شعب مفتاح شخصيته، ودليل مستواه في الفكر والمدنية[1].

فالكثرة ـ على سبيل المثال ـ معنى عام، تُوصف بها الأشياء في حال تعددها فوق المتوقع، ولكن العربية وضعت لها ألفاظاً تخصُّ بعض الأشياء

(١) انظر: ابن سيده، المخصص دار الفكر بيروت د.ت، الأجزاء (١ – ٦) والثعالبي، فقه اللغة وسر العربية طبعة قديمة تخلو من المعلومات، ص ٢٦٦ – ٣١٣ .

وتُوصف بها؛ رغبةً في الدقة وزيادة التخصيص، فالدَّثْر في المال، والمِجْر في الجيش، والعَرْج في الإبل، والكَلَعَة في الغنم، والخَشْرَم في النحل، والدَّيلم في النمل، والجُفال في الشعَر، والغَيْطل في الشجر، والكَيْسوم في الحشيش، والحَشيلة في العيال، والحِيَر في الأهل والمال، والكَوثر في الغبار، والجُبُلّ والقِبْضُ الجماعة الكثيرة، ويقال: مال لبَّد، وماء غَدَق، وجيش لَجِب، ومطر عُباب...

ولن أحدثك عن المشترك والمترادف، وكم اسماً أو وصفاً للأسد أو للسيف أو للجمل أو للفرس أو للمال أو للصحراء أو للسحاب أو للمطر أو حتى للبحر؛ مما يدل على «أن العرب [كما يقول طه حسين] لم يكونوا يجهلون البحر بل كانوا يعرفونه حق المعرفة وكانت حياتهم تتأثر به تأثراً قوياً»[١]، ولكن سأحدثك عن الدقة البالغة في التفريق عن الأحوال والمراتب في بعض الأمور، ومن ذلك[٢]:

- مراحل عمر الإنسان: جنين، وليد، صَديغ (دون سبعة أيام)، رضيع، فطيم، دارج، خُماسي (خمسة أشبار)، مثغور، مُثغِر (نبتت أسنانه بعد السقوط)، مُتَرِعْرِع أو ناشئ (حول العشر السنين)، يافع أو مراهق، حِزوَّر، غلام، فتى أو شارخ، مُجْتَمِع (اكتملت لحيته وبلغ غاية شبابه)، شابّ (بين الثلاثين والأربعين)، ثم كَهْل (إلى الستين)[٣]، وكل لفظة من هذه الألفاظ دالة على تطور العمر، ومقدار النضج في كل مرحلة، ويقال في الشيخوخة: شابَ الرجلُ، ثم شَمِط، ثم شاخ، ثم كبِر ثم توجّه، ثم دَلَفَ، ثم دبَّ، ثم هدَجَ، ثم ثلَّب، ثم الموت.

(١) كتابه في الأدب الجاهلي دار المعارف بمصر ٩/ ١٩٦٨م، ص (٧٩) .

(٢) معلومات ملخصة من فقه اللغة للثعالبي / الصفحات: ٣٦، ٨١ – ٨٩، ٣٢٨ وغيرها.

(٣) توسع ابن سيده في هذه المراحل فعرضها في (١٦) صفحة (١/ ٣٠-٤٦) في المخصص .

• ترتيب سن المرأة: طِفلة، ثم وليدة، ثم كاعب (كعب ثديها)، ثم ناهد، ثم مُعْصِر (أدركت)، ثم عانِس، ثم خَود (توسطت الشباب)، ثم مُسلِف (جاوزت الأربعين)، ثم نَصَف (بين الشباب والتعجيز)، ثم شَهلة كهلة (كبيرة وفيها بقية وجلد)، ثم شَهبَرَة (عجزت وفيها تماسك)، ثم حيزبون (ناقصة القوة)، ثم قِلعَمٌّ ولَطْلَط (انحنى قدها وسقطت أسنانها) .. وقد ذكر أبو منصور الثعالبي في أوصاف المرأة ونعوتها (٥١) لفظة بصيغة إذا كانت المرأة كذا فهي كذا .. استعرض ما تكون عليه في السن أو الهيئة أو الزواج أو الولادة أو الخلق، وهي صفات خاصة بالمرأة دون الرجل، ملأت صفحتين من كتابه فقه اللغة.

• ساعات النهار والليل: نجد فيها أربعاً وعشرين لفظة، كأنها تشمل ساعات اليوم كله، منها اثنتا عشرة ساعة في النهار هي: الشروق، ثم البكور، ثم الغدوة، ثم الضحى، ثم الهاجرة، ثم الظهيرة، ثم الرواح، ثم العصر، ثم القصر، ثم الأصيل، ثم العشي، ثم الغروب. واثنتا عشرة ساعة في الليل هي: الشفق، ثم الغسق، ثم العتمة، ثم السُّدفة، ثم الجّهْمة ثم الزُّلَّة، ثم الزُّلفة، ثم البُهرة، ثم السَّحر، ثم الفجر، ثم الصبح، ثم الصباح.

٤

العربية كتابة وفناً

الكتابة العربية:

ظل الإنسان آماداً طويلة يستخدم لغته الصوتية فقط، ولم يتمكن من تحويلها إلى رموز كتابية إلا قبل (٦٥٠٠) سنة تقريباً[١]، وهي فترة وجيزة من عمر الإنسان على الأرض، وبهذه الوسيلة تغلب على قيود الزمان والمكان التي كانت تحاصره في الاستعمال الصوتي؛ لأنه لم يكن يستطيع الحديث إلا لمن هو معه في التوّة، ويوجد معه في البقعة، وظهور الكتابة كَسَرَ حدة هذه القيود، وانطلقت اللغة من الزمن الحاضر إلى أزمان لاحقة، ومن مكان المتحدثين إلى أمكنة بعيدة، ولهذا وُصِف الزمن الذي سبق هذه المرحلة ـ مرحلة الكتابة ـ بأنه زمن (ما قبل التاريخ)، وكأن البشرية لم تعترف أو تعتد به جزءاً من تاريخها؛ لنقص أدوات التَّواصل والتسجيل والإبداع، وأصبحت اللغة بذلك ذات أربعة أركان، هي:

(١) الموسوعة العربية (لغة).

التحدث ⟸ الاستماع

الكتابة ⟸ القراءة

وبعض اللغات البدائية وقفت عند المرحلة الأولى، فاقتصرت على الكلام والسماع، ولم يستطع أهلها أن يحوِّلوها إلى المرحلة الثانية الكتابة والقراءة ؛ لعدم تمايز أصواتها.

سلفت الإشارة من قَبْلُ إلى أن اللغة العربية تستخدم كامل جهاز النطق في الإنسان، وقد وُزِّعَت على ثمانية وعشرين مخرجاً، رُمِزَ لكل مخرج بحرف اصطلاحي يدل عليه، ومن هذه الحروف تكونت الأبجدية العربية، وهي الأبجدية الثانية في الاستعمال على المستوى العالمي، حيث تُكْتَب بها لغات تنتمي إلى أسر لغوية مختلفة وبيئات جغرافية متعددة من العالم كالفارسية، والتركية القديمة، والأردية، والملاوية، والكردية، وبعض اللغات الهندية، ولغة الأفريكان في جنوب أفريقيا، وبعض اللغات الأوروبية قديماً وخاصة الأسبانية، فضلاً عن لغات أخرى تأثرت بطريقة الرَّسم في الأبجدية العربية، ولا يتقدم على العربية عالمياً سوى الأبجدية اللاتينية.

ولا يهمنا إن كانت قد تطورت من الأبجدية الآرامية أو أن أصولها أُخِذَت من الأبجدية السَّامية الجنوبية، وأنها انتقلت إلى الجزيرة العربية عبر اللغة النبطية في جنوب الشام، فإن تعدد هذه الأقوال وتعارضها يدعو إلى الشك فيها، والأهم من هذا وذاك أنها الباقية اليوم من هذه اللغات، وأنها تمثِّل شخصية الأمة العربية وتتطابق مع مسيرتها الفكرية والحضارية.

ولو تأملنا أشكال الحروف العربية بدقة، وعاودنا اكتشاف ما يربط بينها من علامات الوحدة، وعلاقات التشابه والتكرار؛ وجدنا الحرف العربي يعكس بساطة الحياة العربية، ونهج العرب وحركتهم في صحرائهم

الكبيرة، ولا يخرج الحرف العربي في تكوينه عن أربعة أشكال متفرقة أو مجتمعة، هي: النُّقطة، والعمود، والهلال، والدَّائرة، وينطبق هذا على جميع الحروف العربية، ويُعَدُّ الهلال والدائرة الأصل في تشكيل صورة الحرف العربي، بينما تُعَدُّ النُّقطة والعمود عوامل مساعدة أو مكمِّلة في الرسم، فنجد (ب، ت، ث) في شكل هلال، ومكان النّقط وعددها عوامل تفريق بين هذه الأشكال، و (ج، ح، خ) أشكال هلالية مع اختلاف في وجود النقطة وموضعها، أما (س، ش) فنجدها تتكون من هلالين صغيرين، وبعدهما نصف دائرة، ويفرق بينها أيضاً بالنقط، وعلى هذا النحو نجد (ط، ظ) دائرة مع العمود؛ وبذلك نستطيع أن نتعرف على سائر الحروف (د، ذ، ر، ز، ص، ض، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي) وهكذا، ونجد الخواص الكتابية متوافرة في مختلف هذه الحروف .

يقول ابن خلدون: «كانت كتابة العرب بدويةً مثل كتابتهم أو قريباً من كتابتهم لهذا العهد، أو نقول: إن كتابتهم لهذا العهد أحسن صناعة؛ لأن هؤلاء أقرب إلى الحضارة، ومخالطة الأمصار والدُّول، وأمَّا مُضَر فكانوا أعرق في البدو، وأبعد عن الحَضَر من أهل اليمن وأهل العراق وأهل الشام ومصر؛ فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التَّوسُّط؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش، وبعدهم عن الصنائع»(١).

والبعد عن الصنائع في مفهوم ابن خلدون يعني الإغراق في البداوة، وعدم الدِّقَّة في الصناعات اليدوية؛ لأن الصنائع عادةً ترتبط بالحضارة والاستقرار، وبالقدرة على الابتكار، ورُقِي الذَّوق، كما ترتبط بالمهارة

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤١٨-٤١٩ .

اليدوية الدقيقة ـ والكتابة واحدة من ذلك ـ وكان ذلك قليلاً بل منبوذاً عند العرب، حتى كانوا يعيبون الأعمال اليدوية، ويحتقرون الصناعة[١].

ويتميَّز الحرف العربي برقَّته ولطفه واختصاره وقابليته للتَّشكيل، وإمكان إجراء تعديلات أو إضافات إليه تناسب المخارج المختلفة وحاجة اللغات، بزيادة النّقط، كوضع ثلاث نقاط على الفاء والجيم والخاء، أو بزيادة الخطوط، كوضع شرطة أخرى على الكاف، أو ألف أخرى على الطاء والظاء، أو بتعديل الشَّكل كتوجيه النُّون والواو... إلى غير ذلك، كما أنه من السهل أن يستغني الحرف عن الحركات القصيرة، ولا يؤثر ذلك في النطق بل يقود إليه السياق والفهم.

ومن الطُّرف أن يكون ترتيب هذه الحروف الثمانية والعشرين يتضمن سراً من التشابه والتيسير، فبعد أن نتجاوز الألف (العمود المستقل) نجد ثلاثة أحرف متشابهة (ب ت ث) ثم ثلاثة أخرى (ج ح خ) متشابهة، ثم يتوالى كل حرفين متشابهين (د ذ، ر ز، س ش، ص ض، ط ظ، ع غ، ف ق، ك ل) ثم تأتي الحروف المنفردة (م، ن، هـ، و، ي) وهي وسيلة لتسهيل الحفظ والتعليم.

مآخذ وردود:

ورغم هذه الفطرية التي تتجلي في الحرف العربي، فأورثته البساطة والسهولة واليسر، لا يمكن إنكار بعض الصعوبة في الرسم العربي، ولا يحملنا

(١) انظر في ذلك ابن سلام، الطبقات ت: محمود شاكر، مطبعة المدني د.ت. ١/ ٤٧٠ المتن والهامش، وديوان الأخطل بصنعة السكري، ت/ فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ٢/ ١٣٩٩، ١/ ٦٧٤، وديوان عمرو بن كلثوم ت/ أيمن ميدان، نادي جدة الأدبي ١٤١٣ هـ، ص (٢٣١)، وحسين عطوان، مقدمة القصيدة في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر ١٩٧٠م، ص (٤١).

الإعجاب بلغتنا على تجاهل مشكلة تعدد أشكال الحروف حسب موقعها من الكلمة بدءاً أو وسطاً أو نهاية، كما نلحظ حرف الهاء مثلاً في: هانئ، ويهنئ ونبيه، أو العين في: عجب، يعجب، شبع، شجاع، والكاف في: كتاب، وشباك، ولكنها صعوبات يمكن تجاوزها بقليل من التركيز والمقارنة.

ولا نعدم شيئاً من ذلك أو قريباً منه في اللغات الأخرى، ففي الإنجليزية ـ على سبيل المثال ـ يُكْتَب صوت الياء على أكثر من ستة أشكال، مختلفة البنية والهيئة، فيكتب على واحدة من هذه الصور (ye-ae-ea-ie-ei-ee) بينما لا يُكْتَب في العربية إلا بشكل واحد (ي)، وحرف الكاف في العربية (ك– ک) يأتي في الإنجليزية على عدة صور متباينة (k-c-q-ch-ck)، وحرف الفاء في العربية كذلك له صورة واحدة، أما في الإنجليزية فيأتي على عدة صور (f-ph-gh-) ومثل ذلك حرف الشين (ش– شـ) في العربية يأتي في الإنجليزية على (sh-ch-tio-sio).

وهناك ظاهرة يعدها بعضهم عيباً أو صعوبة وهي كثرة التنقيط في الحروف العربية، وإنما هي مظهر تبسيط وتيسير، فإنهم إن نظروا إليها من تلك الزاوية، فإنه يمكن أن ينظر إليها من زاوية أخرى هي تقليل الأشكال، والتفريق بينها بموقع النقطة من الحرف، أو عدد النقط، مثل (ب، ت، ث) و(ج، ح، خ) وهذا كثير في العربية، فالحروف من الباء إلى اللام عدتها (٢٢) حرفاً، تتلخص في (١٠) أشكال هي (ب، ح، د، ر، س، ص، ط، ع، ف، ل) وإدراك ذلك أيسر من إدراك أشكالٍ جديدةٍ للحروف.

وظهور لوحة المفاتيح أمام الحاسب، أو على صفحة الجوال، أو شاشات الأجهزة الكفيَّة لن يلغي الحاجة إلى استعمال اليد والقلم في الكتابة على المدى المنظور على الأقل، فقد توصل علماء بريطانيون إلى

أن من الأهمية بمكان تدريب الأطفال على الكتابة اليدوية، وإتقان الكتابة باليد؛ لما لذلك من أثر في نشاط الذهن والقدرة على الفهم والحيوية، وتنشيط الذاكرة، ورسوخ التعلم، ومقاومة الخرف والنسيان عند تقدم العمر[١]. وليس من شك في أنَّ الحرف العربي فيه من الخواص الكتابية والتعبيرية ما لا نجده في غيره من الحروف، وأبرز هذه الخواص ما يأتي:

- الصوت في اللغة العربية يُعَبَّر عنه بحرف واحد فقط، ولا نجد صوتاً لا يقابله رمز كتابي، أو يُعَبَّر عنه بحرفين أو أكثر، وهذا كثيرٌ في اللغات الأوروبية، كما في الأمثلة السالفة، وكما في حرف الذال مثلاً (th) والشين (sh) وهذا يدل على كثرة هذه الظاهرة فيها.
- الحرف في العربية له صوت واحد لا يتغير مخرجه أو يختلف نطقه، بينما نجد في اللغات الأخرى حروفاً تدل على أكثر من مخرج، ونسمعه بأكثر من صوت، فحرف (c) في الإنجليزية ينطق مرة كافاً، ومرة سيناً وحرف (g) تنطق جيماً قاهرية أو قريبة من الكاف، وصورة (th) تنطق مرة ذالاً ومرة ثاء[٢].
- ومن هذه الخواص التي يتمتع بها الحرف العربي مطابقة المكتوب للمنطوق، فكل صوت في النطق يقابله حرف في الكتابة بشكل مطرد، وما يوجد من حروف محذوفة تخفيفاً في بعض الكلمات مثل: (لفظ الجلالة الله، إله، الرحمن، هذا، هذه، ذلك، لكن، هؤلاء، أولئك) ونلحظ أن الحذف كله في حرف الألف، وكذلك الشأن في بعض الحروف الزائدة كزيادة الألف بعد واو الجماعة في (ذهبوا)، وكما في (أولئك، أولو، أولات، عمرو)

(١) تقرير قدمته قناة الجزيرة يوم الاثنين ٣/ ٢/ ٢٠١٤ م.

(٢) انظر: محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، مؤسسة الرسالة ٥/ ١٤٠٢ هـ ٢/ ٣٦٦.

فهي حالات نادرة، وكلمات محدودة جداً، تعد على أصابع اليد، ولا تُقَاس بحجم اللغة العربية، ولا بما لدى اللغات الأخرى كالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية من هذا النوع من الزيادة والحذف، فقد تبلغ الكلمة عندهم عشرين حرفاً ولا ينطق منها إلا حرفان أو ثلاثة، ومن له إلمام بالإنجليزية ـ مثلاً ـ يتذكر العديد من الكلمات التي تشتمل على حروف تكتب ولا تنطق.

- يتسم الحرف العربي بالمرونة وقابلية التشكيل الجمالي، حتى أصبح من أهم مصادر الإبداع والفن في الحضارة العربية، زُخْرِفَت به الصَّفحات وأغلفة المجلدات، وكُتِبَ على الجدران، والمحاريب، وسقوف المساجد، وحلوق القباب، وعقود الأعمدة، والأبواب والنوافذ، وشواهد القبور... وغيرها. وما فيه من طواعية جعله يتشكل في العديد من اللوحات الفنية التي يُعَبَّر عنها بأنواع الخطوط المختلفة، ما بين رقعة، ونسخ، وثلث، وديواني، وكوفي، وحجازي، وسيني، وفارسي، ومغربي، ومعلق، ومعشق، وخط الطغراء...إلخ، ولكل منها وظائفه وجمالياته، ورأينا فنون الخط تزدهر في مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية وشمال إفريقيا، وتنشط الأيدي البارعة في التشكيل والفن، وتُعْقَد المسابقات، وتُقَام المعارض في كثير من المناسبات والعواصم، وتلقى رواجاً حتى في الدول الأوروبية، ممن يستمتعون بتشكيلات الحرف العربي وإن لم يقرؤوه.

- ونجد من غير العرب من يصنع لوحات فاخرة يترقرق فيها بريق الإبداع. وقد استقطب هذا الإبداع طبقة من الفنانين في تركيا وإيران، وفي بلاد الأفغان والباكستان وأندونيسيا، وتعلق به إلى جانب ذلك فئة من الفنانين الغربيين، فجذبهم بصوره الجميلة وطواعيته الفنية، على نحو ما جاء في تقرير إحدى القنوات المرئية، فقد تحدَّث التقرير عن فنان أمريكي في

الستين من عمره يمارس هذه الهواية بمتعة وزهو كبيرين، وتألَّق في هذا الميدان عدد من الفنانين الفرنسيين على رأسهم الفنان المبدع جوليان بريتون، وفي بلد كاليابان نجد رجالاً تخصصوا في الخط العربي، وبرعوا فيه، وكتبوا عنه، وحللوا نماذج منه تعلموا على يد خطاطين عرب وأتراك، وحصَّلوا فيه على إجازات معتبرة، وعُرِضت لوحاتهم في معارض كبرى في العالم العربي[١].



لوحة فنية بتقنية الرسم بالضوء في توظيف الخط العربي للفنان الفرنسي المبدع جوليان بريتون

- سبقت الإشارة إلى ما تتميز به العربية من التركيز والاختصار بسبب عدم الحاجة إلى أدوات الربط بين ركني الجملة، أو إلى فعل مساعد عند النفي، ويظهر ذلك بجلاء حين نترجم نصاً من النصوص إلى اللغة العربية، ونقارن من حيث المساحة بين الأصل والنص العربي المترجم، يضاف إلى ذلك ما تتميز به اللغة العربية من خاصية وصل الحروف بعضها ببعض، طالما كانت الحروف مما تشبك أو تربط، وهي سمة أكثر الحروف العربية، وما لا يوصل من الجانبين يوصل بما قبله (مثل: د، ذ، ر، ز، و)، ولا نجد

....

(١) انظر: موقع، عادل باناعمة، اليابان ومشرق العربية.

حرفاً يأبى الوصل إلا إذا كان طرفاً، وكان قبله أحد هذه الحروف، هذه الخاصية توفر سرعة الكتابة، وقلة المساحة، وإبراز وحدات النطق، وسرعة استدعاء المعنى إلى الذهن، فالعربية لا تعرف الكتابة المفرقة أو المقطّعة، بينما نجد اللغات الأوروبية كلها تكتب بحروف مقطعة.

الحرف العربي ..الانتشار والتراجع:

ولعل ذلك من أسرار انتشار الحرف العربي، وأسباب تقبله في أمم ولغات كثيرة تنتمي إلى أسر لغوية، وبيئات جغرافية متعددة، فقد فتن هذا الحرف برشاقته وجماله ونفوذه واختصاره ودقته كثيراً من الشعوب؛ فكتبت به آدابها وتراثها،حتى تراتيل عبادتها، ففي الأندلس «اضطر رجال الكنيسة إلى تعريب مجموعاتهم القانونية؛ لتسهيل قراءتها في الكنائس الإسبانية، ووجد (جان سيفيل) نفسه مضطراً إلى أن يكتب بالعربية معارض الكتب ليفهمها الناس»[١].

وفي دراسة تتبعية إحصائية مخطوطة ـ اطلعت عليها ـ وصل الباحث عبد الرازق القوسي مبدئياً إلى (١٤٦) لغة في العالم كُتِبَت أو تُكْتَب بالحرف العربي، وقد قسمها إلى مجموعات، وذكر اللغات التي تنتمي إلى كل مجموعة منها[٢]، وأَقْتَصِرُ على التمثيل لعدم إمكان الإفاضة:

- مجموعة تُكْتَب بالحرف العربي فقط (٢٦) منها: اللغة العربية، الأردية، والفارسية، البشتو، البلوشية، الجيلانية، البرهوية، الدارية...
- مجموعة تُكْتَب بالحرف العربي أكثر مما تُكْتَب بغيره (١٤): الواخية،

(١) مجلة الخفجي،ع سبتمبر ١٩٩٣ مقال: اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم، ص (٥١).
(٢) الدراسة مخطوطة بعنوان (عالمية الأبجدية العربية)، وسينشرها مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية قريباً.

النوبية، السندية، البنجابية، الأذربيجانية، تشام، البلتية. والسبب أن الناطقين بهذه اللغات يعيشون في دولتين، والحرف المنافس إما اللاتيني أو حرف قومي.

- مجموعة تُكْتَب بالحرف العربي وبغيره بالتساوي، لغتان: مايا، والقمرية.
- مجموعة تُكْتَب بغيره أكثر مما تكتب به (٢٠) لغة منها: الهوسا، ماندنكا، الملايوية، القرغيزية، الأمازيغية، الطاجكية، القازاخية، الجاوية، التركمانية.
- مجموعة هجرته إلى غيره (٣٠) منها: العثمانية، الصومالية، الشيشانية، السواحلية، اليوربا، الألبانية، التتارية، التاميلية، البوسنية، مدغشقر.
- مجموعة تحولت عنه رسمياً وبقي شعبياً (٩) في شرق آسيا، وغرب أفريقيا: الهوسا، اليوربا، الولوف، الصونغاي، ماليزيا، أندونيسيا، السنغال، نيجيريا، مالي. وقد نجد اللوحات واللافتات العربية في الشوارع والمحال في هذه البلاد بالعربية.
- أقليات إسلامية تكتب بالعربية ولكنها تلاشت (٦) منها: البولندية، البلوروسية، اليونانية، الكرواتية، الأفريكانية، وما زالت في خوي تسو في الصين.
- مجموعة ظهرت فيها العربية في القرن (١٩) ثم اختفت (٤): أثيوبيا، أرتيريا، في شرق أفريقيا، شمال القفقاس، منطقة داغستان.

وهكذا تقلص انتشار الحرف العربي إلى سدس ما كان عليه تقريباً، بعد أن كان مسيطراً في آسيا أكبر قارات العالم مساحة وسكاناً، وأفريقيا البكر السمراء، ليس لضعف هذا الحرف أو عدم ملاءمته، أو عدم قدرته على

المواجهة والمنافسة، ولكن تعرض لبعض العقبات، وأهمها:

- انحسار أثر العرب في العالم الحديث، وتغير الموقف من تراثهم وثقافتهم.
- احتلال الشعوب الضعيفة، وترويج المحتل للغته وتشويه الثقافات المحلية.
- ظهور الدعوات القومية والوطنية وإحياء التراث المحلي.
- عدم وجود دعم وتوعية كما حدث في الصومال (العربية) منذ ١٩٩٢م.
- تقليد الغرب والسير في ركابه كما حدث في البوسنة؛ لانتمائها إلى أوروبا.
- الهزائم والانكسارات التي هزت بعض الشعوب وخلخلت القيم والثوابت فيها، كما حدث في تركيا بعد الحرب الكونية الأولى.
- التوجهات السياسة كما حدث في مؤتمر اليونسكو في باماكو في مالي سنة ١٩٦٨م ودعوة الدول الأفريقية إلى التحول للحرف اللاتيني.
- القرارات الرسمية التي اتخذتها بعض الدول كما حدث في الاتحاد السوفييتي السابق سنة ١٩٣٨م، حين اتخذ قراراً تحولت بمقتضاه (٢٢) لغة من العربية إلى الروسية.

الخاتمة

ورغم امتداد الزمن، وكثرة العقبات ما تزال هذه اللغة شابة فتية، قادرة على تلبية متطلبات الحضارة، ومسايرة احتياجات العصور، ولن تشعر يوماً بالشيخوخة أو الضعف، ففيها حركة داخلية متجددة تجعلها متدفقة بالنَّماء والحيوية والعطاء، تختال بجمالها، وتزهو بتاريخها، وتثق بقدراتها، وترحب بعشاق الشرق: شمسه، وأساطيره، وتاريخه، ورسالاته، وآثاره، وتفرش للراغبين في تعلُّم اللغة العربية أكف الراحة، وتفتح قلوب المحبة، وتلوح لروَّاد الأدب بأزهار الحب وعبارات الترحيب؛ ليتذوقوا فنون الإبداع العربي منذ:

أنشد امرؤ القيس شعره على مياه الغدران، وناجى دارس الأطلال.

وعنترة يتتبع أذناب الإبل في صحارى نجد، ويصيح بالفرسان.

والشنفرى يحدثنا عن الفضائل العربية، ويتغنى بالقيم الإنسانية.

وزهير يهتف بالسلام بعد حرب اشتعلت دهراً طويلاً.

والمجنون يتغزل بابنة عمه في حمى جبل التوباد.

وما أضاف المتأخرون والأجيال المتتابعة من فنون كثيرة: كالمقامة، والمقالة، والخاطرة، والقصة، والأقصوصة، والرواية، والسيرة الشعبية، والسيرة الذاتية، وخيال الظل، والمسرح، والسينما، والفن التشكيلي.

يقول العقاد: «ومن واجب القارئ العربي ـ إلى جانب غيرته على لغته ـ أن يذكر أنه لا يطالب بحماية لسانه، ولا مزيد على ذلك، ولكنه مطالب بحماية العالم من خسارة فادحة تصيبه بما يصيب هذه الأداة العالمية من أدوات النطق الإنساني، بعد أن بلغت مبلغها الرفيع من التطور والكمال، وإنَّ بيت القصيد هنا أعظم من القصيد كله؛ لأن السَّهم في هذه الرمية يسدد إلى القلب, ولا يقف عند الفم واللسان، وما ينطق به في كلام منظوم أو منثور»(١).

(١) اللغة الشاعرة، ص: ٦-٧.

المصادر والمراجع

أحمد الضبيب: اللغة العربية في عصر العولمة، د.ط (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٠٢هـ).

الأخطل: ديوانه بشرح السكري، ط٢، تحقيق فخر الدين قباوة (بيروت: دار الآفاق، ١٣٩٩هـ).

الأمم المتحدة: قرار (٣١٩٠/٢٨/٢) في ١٨/ ١٢/١٩٧٣م.

حافظ إبراهيم: ديوانه، ضبطه: أحمد أمين وزميليه (بيروت: دار العودة، مصورة عن طبعة عام ١٩٣٧م).

حسين عطوان: مقدمة القصيدة في العصر الجاهلي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠م).

عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

مجلة الخفجي: عدد سبتمبر ١٩٩٣م، اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم (مقال).

ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، د.ت).

رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٣هـ).

ابن سلاّم الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر (القاهرة: مطبعة المدني، د.ت).

ابن سيده: المخصص، دار الفكر العربي، د.ت.

شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م .

طه حسين: في الأدب الجاهلي، دار المعارف بمصر ١٩٦٨/٩م .

عادل باناعمة: الموقع الشبكي، اليابان ومشرق العربية، ورقة عمل مقدمة خلال الأسبوع الثقافي السعودي في اليابان ٨-١٤/١٠/٢٠١٠م، على الرابط:

http://www.banaemah.com/Iec1.asp?ID=19

عباس محمود العقاد: اللغة الشاعرة (القاهرة: دار غريب، د.ت).

عبد الرازق القوسي: عالمية الأبجدية العربية، دراسة غير منشورة.

عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي: علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد ين سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، الرياض ١٤٢٧هـ.

عبد الله عبد الرحمن البريدي: بحث اللغة العربية والهوية، جهود المملكة العربية السعودية في خدمة اللغة العربية، نشر مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية ١٤٣٤هـ .

علي عبد الحليم محمود: مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية د.ت.

عمر عودة الخطيب: لمحات من الثقافة الإسلامية، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ).

عمرو بن كلثوم: ديوانه، تحقيق أيمن ميدان (جدة: نادي جدة الأدبي، ١٤١٣هـ).

ابن فارس: مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام هارون (بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ).

الفيصل: مجلة، عدد (٨٩) ذو القعدة ١٤٠٤، العالم في أرقام .. لغات العالم (مقال).

القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (بيروت: دار الفكر، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٨م).

قناة الجزيرة: تقرير إخباري، الاثنين ٢٠١٤/٢/٣م .

لويس معلوف: المنجد في الأعلام، طبعة (١٧) .

المتنبي، أحمد بن الحسين: ديوانه بشرح العكبري، تحقيق مصطفى السقا وزميليه (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٧م).

محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة (بيروت: دار نهضة، ١٤٠٦هـ).

محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ط٥ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ).

محمد إسماعيل صالح: بحث: اللغة العربية ومنزلتها بين اللغات، جهود المملكة العربية السعودية في خدمة اللغة العربية، نشر مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية ١٤٣٤هـ .

محمود عمار: تقويم مناهج اللغة العربية في مراحل التعليم العام، ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية اللغة العربية ٢٣-١٥/٥/١٤١٦هـ المجلد الثاني.

مصطفى الرافعي: تحت راية القرآن، ط٨ (بيروت: دار الكتاب العربي،١٤٠٣هـ).

أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية (طبعة قديمة تخلو من المعلومات).

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو): قرار ١٩٠م/ت/٤٨ باريس في ٢٠١٢/١٠/٨م.

المحتوى

٣

الأدلة والمعلومات

دَليلُكَ إلى العَرَبيَّةِ

أولى المركز مسار تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عنايته الخاصة، وفي هذا السياق يقدم المركز ضمن سلسلة (الأدلة والمعلومات)، ثلاثة إصدارات تعالج موضوعاً واحداً -هو تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها- وتختلف في زاوية النظر إليه، وهذه الإصدارات تحمل العنوانات الآتية: (دليل معلم العربية للناطقين بغيرها)، و(دليل متعلمي العربية الناطقين بغيرها) و(دليل ثقافة اللغة العربية للناطقين بغير العربية)، وقد عمل على تهيئة هذه السلسة وإنجازها ومراجعتها فريق متخصص في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تحت إشراف المركز.

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا

9 786039 062622

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language
ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa